

كلية العلوم الاجتماعية

شعبة الفلسفة

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الفلسفة

## فلسفة التواصل - المفاهيم والنظريات-

تحت إشراف الأستاذ:

أ. د ميلود العربي

إعداد الطالب:

بدر الدين زواقة

لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة مستغانم	أ.د بن جدية محمد
مشرفا ومقررا	جامعة مستغانم	أ.د العربي ميلود
مناقشا	جامعة مستغانم	أ.د حموم لخضر
مناقشا	جامعة وهران 2	أ.د سواريت بن عمر
مناقشا	جامعة تلمسان	أ.د عطار أحمد
مناقشا	جامعة بلعباس	أ.د قسول ثابت

السنة الجامعية: 2024/2023

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# السلام خاص

الى سيدي مصطفى....والذي رحمه الله

الى ليلي....زوجتي الغالية

# الإهداء

إلى من:

من يؤمن أن المصالحة الإنسانية والسلام العالمي... يكمن  
في الإيمان والتواصل.

# شكر وتقدير

بعد شكر الله عز وجل ...أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف ميلود العربي  
المفكر الإنسان، على إشرافه على هذا العمل.

ثم رسالة تقدير إلى جامعة مستغانم التي احتضنتني بكل حب وود ...كانت و لا  
تزال بيتي المعرفي الأول بامتياز ...وخاصة الأستاذ الدكتور العربي بوعمامة  
مهندس التواصل القيمي في مدرسة مستغانم للإعلام.

وسعيد بلجنة المناقشة المتميزة ...كل التقدير لهم على القراءة والتقييم والتقويم.

خالص الحب والود

بدرالدين زواقة

# مقدمة

## مقدمة:

تعتبر فلسفة التعامل مع الآخر الحلقة المفقودة في التواصل الإنساني قديما وحديثا، غير أنها كانت الحلقة الذهبية في المجتمعات المتحضرة التي تؤسس لنظرية الإنسان مفهوما ووظيفة ومقصدا. ولما كان للتواصل من أهمية أساسية في الوجود الإنساني؛ كانت الأسماء التي علمها الله لأدم مؤشرات ودعائم هذا الوجود من خلال الرموز والدلالات والعلامات والألفاظ، مما حقق مستوى متجدد من التفاعل الرمزي وحلقة جديدة في البناء الوظيفي للمجتمعات والأمم وتطور التواصل الإنساني باعتبار نظريتي التغير والتغيير الاجتماعيين على مستوى المفاهيم والنظريات والنماذج، ودخول متغيرات متنوعة في العملية التواصلية مما زادها أهمية وألوية من جهة، ومن جهة أخرى تعقيدا وارتباكا فبسبب ذلك كثرة النظريات والمفاهيم من مدارس مختلفة ومتنوعة، وذلك التنوع أثر في البيئة العربية وجعلها تستورد حتى المفاهيم المتعلقة بظواهرها الاجتماعية. وإذا أردنا ردم الفجوات المعرفية كان من الواجب علينا الانطلاق من رؤية فلسفية ابتداءً ورسم نقطة البداية من جهة، ومن جهة أخرى قراءة واعية للمنتوج الإنساني المتعدد والتراكم المعرفي المتنوع في فهم الظاهرة الاتصالية.

يعد هذا البحث رؤية معرفية لفلسفة التواصل من خلال نظرة تاريخية واعية وقراءة نقدية لنظريات ونماذج الاتصال وأرضية تحليلية لمفاهيم ونظريات التواصل في طرحها الفلسفي الغربي خصوصا مع فيلسوف التواصل - يورغن هابرماس-، وفي الحقل الفكري العربي من خلال تقديم أنموذجين من بيئتنا العربية ممن أسسوا لنظرية التواصل من خلال مرجعتين متكاملتين ومنهجين متغايرين؛ ويتعلق الأمر أولا: بالدكتور عبد الرحمن عزي من خلال نظريته المطورة من نظرية الحتمية القيمية وهي نظرية «الواجب الاخلاقي»، وثانيا بالفيلسوف العرفاني طه عبد الرحمن من خلال رؤيته في فلسفة التواصل مع الآخر وما

اصطلح عليه بـ«التواصل الشهادي»، فكان البحث محاولة لتقعيد المفاهيم الخاصة بالتواصل والاتصال وإبراز حدود التداخل والتباعد بينهما.

كما سعينا لطرح مقارنة منهجية ومقارنة موضوعية بين رؤيتين ومحاولة تحقيق التكامل المعرفي بين حقل علم الاجتماع والاتصال وفلسفة التواصل.

اعتباراً مما سبق سيقت إشكالية الدراسة كما يلي : ما موقع فلسفة التواصل من المعرفة الإنسانية؟ وماذا قدمت الجهود المعرفية المعاصرة من خلال نظريتي طه عبد الرحمن وعبد الرحمن عزي في التأسيس لنظرية التواصل والاتصال الإنساني؟. ويتفرع عن الإشكال المركزي مجموعة من التساؤلات الفرعية يمكن صياغتها كما يلي :

- ما موقع نظرية الواجب الأخلاقي في فلسفة التواصل؟
  - ما نوع التكامل بين فلسفة طه عبد الرحمن ونظرية الواجب الأخلاقي في التأسيس لمنظومة معرفية خاصة بالبيئة العربية والإسلامية؟.
- على اعتبار أن هذا البحث من الدراسات الوصفية والتفسيرية، فقد اعتمدنا أداتي النقد والتحليل، إضافة للمنهج المقارن.

ولتحليل الإشكالية قسمنا العمل إلى أربعة فصول رئيسية، ابتدأنا بأهم المفاهيم والنظريات ونماذج فلسفة التواصل، لننتقل في ثاني فصل ونعالج فلسفة التواصل في الفلسفة المعاصرة، ثم نحاول في الفصل الثالث والرابع أن نتعرض لنموذجي الدراسة العربيين عبد الرحمن عزي وطه عبد الرحمن مبرزين جهودهما التنظيرية في مفهمة التواصل والاتصال.

وتتجلى أهمية البحث في:

1. أهمية فلسفة التواصل في العلاقات الإنسانية ومحاولة التأسيس لفقه فلسفي خاص بالبيئة العربية.

2. اعتبار أن الباحثين محل الدراسة والنقد أحياء، مما يعطي صورة غير نمطية وحقيقية عن واجب الوقت لتأسيس لنظريات خاصة بالبيئة العربية، وهذا ما تقوم به بالضبط المؤسسات الغربية المنتجة للمعرفة.

3. بيان موقع الجهود العربية والإسلامية في مجال التنظير وإدراك الخلل في عدم التعاطي والتوظيف.

أما أهداف الموضوع فتتجلى في النقاط التالية:

1. محاولة وضع وثيقة معرفية للباحثين في فلسفة التواصل.
2. تقييم الجهود العربية في هذا المجال.
3. الوصول لأرضية نقدية لواقع التنظير في البيئة العربية.
4. محاولة الاستئناف المعرفي الثقافي والحضاري انطلاقاً من الفكر العربي مرجعيتنا الثقافية والحضارية.

فيما يخص الدراسات السابقة فقد أستأنسنا بمجموعة وهي كثيرة، نذكر منها:

❖ فلسفة التواصل في الفكر العربي المعاصر: طه عبد الرحمن وناصيف

نصار بين القومية والكونية- للباحث جلول مقورة.

❖ تجديد العقل الأنواري عند يورغنهابرماس. للباحث عطار أحمد.

❖ مذهب التواصل في الفلسفة النقدية لهابرماس، للباحث محمد الأشهب.

❖ اهم نتائج البحث.

❖ طبيعة الاضافة العلمية.

❖ توصيات.

# الفصل الأول:

فلسفة التواصل.

المفاهيم والوظائف، النظريات والنماذج.

## مدخل:

إن التغيير الذي نشهده اليوم غير تقريبا كل وجه العالم الحقيقي الذي وُجد عليه ليظهر التغيير في جميع المجالات؛ إلا أن كل ما كان أصلا وإن تغير شكلا لكنه يبقى مضمونا على ما وُجد عليه أول مرة، فالأكل مثلا رغم تغير أشكاله وطعمه إلا أن التاريخ لم يشهد على عصر كان خاليا من كائنات تأكل الطعام لأن الجوع في الكائن الحي فطرة وإلا لانقطعت الحياة ولما كنا نحن اليوم، كذلك الفطرة الإنسانية احتاجت للآخر والتعامل معه؛ فنشأت العلاقة المبنية على المعاملة والتعامل المبنين على التواصل مع الغير أو حتى مع الذات، ولم يبدأ التواصل بالهيئة التي هو عليها اليوم، بل الانسان البدائي كان يشعل النار ويرسم على الجدران ليوصل صوته ورغبته في شيء معين ثم بعد ذلك استعمل الإشارة والرموز إلى أن وصل التواصل إلى ما نحن عليه من وسائل وتقنيات متطورة، وهذا التغيير يحتاج إلى دراسات فلسفية معمقة ونظريات تطبق على نماذج مختلفة للوصول إلى نتائج حقيقية وواقعية، ذلك أن «النشاط التواصلي هو ماهية أساسية ذاتية وبين ذاتية في الوقت ذاته، وهو ينطبق حصرا على أنواع النشاط التي كان قد حددها هايرماس كالنشاط المتعلق باستجلاء المعنى.

أو ذلك الخاص بالبحث عن الحقيقة، أو عن الصدق، وهذه المتطلبات الأساسية\* لابد أن تكون ترنسندتالية\*\* وإلا ستختزل إلى مجرد شروط سوسيو- ثقافية ذات وجود نسبوي لا يمكن الاطمئنان إليها بقصد بعث تأسيس فلسفي نهائي»<sup>1</sup>

---

\*- يتفق آبل مع هابرماس حول قواعد التواصل التي ينبغي احترامها من طرف كل المشاركين في عملية النقاش، وتتمثل هذه القواعد في: المعقولية (Intelligibilité) وتعني إنتاج خطاب تتوفر فيه الصحة التركيبية وتحترم فيه المعايير اللسانية، والحقيقة (Vérité) وتعني أن مضمون القول لابد أن يتضمن وصفا لوقائع حقيقية وليست مستوحاة من الخيال، والمصادقية (Justesse) وتعني تطابق الفعل اللغوي مع المعايير المعترف بها من طرف المجتمع، أي تجنب التناقض بين القول والمعايير الاجتماعية السائدة، والصدقية (Sincérité) وتعني تعبير المتحدث عن قصده ونواياه بطريقة صادقة بعيدة عن التضليل والكذب، أنظر: مصدق حسن، النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت، ط1، 2005، ص، ص، 145، 146.

\*\*-الترنسندتالية : كلمة مأخوذة من الفرنسية: Transcendentalisme وهي حركة فلسفية ودينية معاصرة تعارض فلاسفة القرن الثامن عشر وترى أن كل تجربة مهما صغرت تقودنا الى ما يكشف عن الكون بأسره ومن أهم ممثليها: إمرسون.

<sup>1</sup>- آبل كارل أوتو، التفكير مع هابرماس ضد هابرماس، تر: عمر مهيل، منشورات الاختلاف والمركز الثقافي العربي والدار العربية للعلوم، الجزائر والمغرب ولبنان، ط1، 2005، ص، 19، (مقدمة المترجم).

# المبحث الأول

مفهوم فلسفة التواصل.

## المطلب الأول: معنى التواصل لغة ومعجميا

كان التواصل ولا يزال الفعل المشترك بين الأنا والآخر منذ بداية البشرية إلى يومنا هذا رغم الاختلاف الحاصل عبر الأزمنة والعصور إلا أن الانسان يبقى بحاجة أن يخاطب نفسه وغيره مهما اختلفت الوسائل لكن يبقى التواصل قائما.

ولربما اختلاف الزمان والمكان والوسائل جعل للتواصل معاني مختلفة وهذا ما تمت الإشارة إليه في قاموس الفلسفة الأخلاقية حيث ورد فيه أن التواصل «من أهم المتطلبات الخاصة في هذا العالم الذي أصبح يتواصل بصفة شاملة وبوسائل لم يعرفها تاريخ الإنسان سابقا، والهدف منها تسوية المشاكل المتعلقة بالسعادة والمساواة وتطور الأفراد والجماعات من أجل تلاشي النزاعات والإيديولوجيات التي نعتقدها»<sup>1</sup>. وللتعرف على معنى التواصل نتطرق إلى تعريفات لغوية وأخرى اصطلاحية مما اصطلح عليه في حقول معرفية أخرى سنحاول التطرق إليها في العناصر الموالية.

### 1- / أصل الكلمة في اللغة العربية:

ورد في لسان العرب أن التواصل من الثلاثي وصل: وَصَلَتِ الشَّيْءَ وَصَلًا وَصِلَةً، وَالْوَصْلُ ضِدُّ الْهَجْرَانِ. ابْنُ سَيِّدَةَ: الْوَصْلُ خِلَافُ الْفِضْلِ. وَصَلَ الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ يَصِلُهُ وَصَلًا وَصِلَةً وَصِلَةً؛ الْأَخِيرَةُ عَنِ ابْنِ جَنِّي، قَالَ: لَا أَدْرِي أَمْطَرِدُّ هُوَ أَمْ غَيْرُ مَطَّرِدِّ، قَالَ: وَأَظْنَهُ مُطَّرِدًا كَأَنَّهُمْ يَجْعَلُونَ الضَّمَّةَ مُشْعِرَةً بِأَنَّ الْمَحْدُوفَ إِنَّمَا هِيَ الْفَاءُ الَّتِي هِيَ الْوَاوُ، وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ: الضَّمَّةُ فِي الصَّلَةِ ضَمَّةُ الْوَاوِ الْمَحْدُوفَةِ مِنَ الْوَصْلَةِ، وَالْحَذْفُ وَالنَّقْلُ فِي الضَّمَّةِ شَاذٌ كَشُدُودِ حَذْفِ الْوَاوِ فِي يَجْدُ، وَوَصَلَهُ كِلَاهُمَا: لِأَمَّةٍ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: وَلَقَدْ وَصَلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ، أَي وَصَلْنَا ذِكْرَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَقَاصِيصَ مَنْ مَضَى بَعْضَهَا بِبَعْضٍ، لَعَلَّهُمْ يَعْتَبِرُونَ. وَاتَّصَلَ الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ: لَمْ يَنْقَطِعْ.<sup>2</sup>

<sup>1</sup>-Monique Canto-Sperber, **dictionnaire d'éthique et de la philosophie morale**, Op.Cit, p, 275.

<sup>2</sup>-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، 1993، ج 11، ص 726.

وذكر في مقاييس اللغة (وَصَلَ) الْوَاوُ وَالصَّادُ وَاللَّامُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ يُدُلُّ عَلَى ضَمِّ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى يَعْلقَهُ. وَوَصَلْتُهُ بِهِ وَصَلًّا. وَالْوَصْلُ: ضِدُّ الْهَجْرَانِ. وَمَوْصِلُ الْبَعِيرِ: مَا بَيْنَ عَجْزِهِ وَقَفْذِهِ. وَالْوَاصلةُ فِي الْحَدِيثِ: الَّتِي تَصِلُ شَعْرَهَا بِشَعْرِ آخَرَ زُورًا. وَيَقُولُ وَصَلْتُ الشَّيْءَ وَصَلًّا، وَالْمَوْصُولُ بِهِ وَصِلٌ بِكَسْرِ الْوَاوِ.<sup>1</sup>

## 2- / معنى الكلمة بالفرنسية.

التواصل يقابله في اللغة الفرنسية Communication وهذه اللفظة الفرنسية مشتقة من اللفظة اللاتينية Communicare بمعنى يشارك، وهي تعنى الحوار بين العقول أو الذوات حيث تنتقل الإحساسات والمعاني المتخيلة والمجردة من عقل لآخر، والتواصل يتضمن وسائل حسية مثل الكلام والكتابة وتعبير الوجه وحركة الجسم، كما يتضمن احتكاك مباشر بين العقول عن طريق المشاركة الوجدانية<sup>2</sup>.

فمصطلح «الاتصال» غالبا ما يستعمل للدلالة على إيصال المعلومة ونشرها ونقلها بطرق مختلفة من مرسل إلى متلق في حين التواصل هو التفاعل بين الطرفين. والملاحظ أن المعنى اللغوي لم يختلف كثيرا بين لسان العرب ومقاييس اللغة حيث أن الكلمة في كلا المعجمين ضد الانفصال والهجران، في حين معنى ترجمتها من الفرنسية المشاركة وهو معنى قريب للمعنى العربي لأن المشاركة تقتضي الاتصال وعدم الانفصال والهجران.

<sup>1</sup> - أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979، ج 6، ص 115.

<sup>2</sup> - وهبة مراد، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2007، ص 18.

## المطلب الثاني: مفهوم التواصل إتصاليا وإعلاميا.

### 1- مفهوم نظرية التواصل:

يعود الأصل الاشتقاقي لكلمة «نظرية» في اللغة العربية إلى مادة «نظر». وفي المنجد في اللغة والأعلام نجد أن: «نظره نظرا ومنظرا ومنظرة وتنتظارا ونظرانا وإليه بمعنى أبصره وتأمله بعينه. ونظر نظرا في الأمر: تدبره وفكر فيه يقدره ويقيسه. والنظري: المنسوب إلّالنظر؛ ويطلق في تقسيم العلوم على ما كان غير متعلق بكيفية العمل، ويقابله العملي وهو ما كان متعلقا بها. والنظرية: قضية محتاجة إلى برهان لإثبات صحتها».

ويفرق O'Connor, O. j. بين معان مختلفة لكلمة «نظرية»؛ فهي تستخدم في الفلسفة للدلالة على كل متكامل من المشكلات المترابطة (نظرية المعرفة، نظرية القيم...)، وتستخدم - كما هو الشأن عند الرياضيين- للدلالة على منظم وموحد من المفاهيم النظرية التي لا صلة لها بأي نشاط عملي (نظرية الأعداد، نظرية المجموعات...)، كما تستخدم في الحياة العامة للتفريق بين ما هو نظري وما هو عملي، لتدل بذلك على نظام من القواعد أو مجموعة من المبادئ التي ترشد أعمالنا في شتى الميادين وتوجهها وتضبطها.

عموما؛ وبعيدا عن كل التفصيلات، يكاد يكون هناك اتفاق في الأوساط العلمية على أن النظرية هي: «نسق فكري استنباطي متسق حول ظاهرة أو مجموعة من الظواهر المتجانسة يحوي إطارا تصوريا ومفهومات وقضايا نظرية توضح العلاقات بين الوقائع وتنظمها بطريقة دالة وذات معنى، كما أنها ذات بعد أمبريقي، وذات توجه تنبؤي.» فالنظرية العلمية تتميز بخصائص أساسية هي:

❖ أنها تمثيلات رمزية عامة.

❖ أنها نسق من المفاهيم والقوانين المترابطة بالظواهر

ومن وظائفها أنها:

-/ تشكل إطارا تفسيريا لمعطيات الواقع.

-/ تمكّن من وصف ما يحدث من ظواهر متنوعة.

-/ تستعمل لتوجيه المعلومات العلمية

-/ تشكل قاعدة أو أساسا للتحليل.

-/ تمكّن من صياغة القوانين العلمية بطريقة مختزلة.

بناءً على ما سبق وتأسيساً عليه، يمكن أن نقدم تعريفين لما يسمى نظرية التواصل كما يلي:  
الصورة النظرية للمسلسل العام الذي يقوم فيه نسق -مصدر التأثير في نسق-هدف، وذلك باستعمال مؤشرات تمر عبر قنوات منظمة ومرتبطة وفق تصور محدد.

مجموع الأنساق الواصفة لسيرورة التبليغ والتلقي عبر قناة بين جهاز وآخر، وفي الغالب بين الكائن الإنساني وغيره.

يتعلق الأمر إذن بتمثيل يصف أو يفسر عمليات التواصل ووضعيته انطلاقاً من نظرية أو حقل دراسي معين، مثل الهندسة وعلم النفس وعلم اللغة... فالمهندس يبني تصورات النظرية حول الظاهرة التواصلية من خلال اهتمامه بالجانب الكمي في نقل المعلومات والقناة المستعملة في هذا النقل، بينما يقوم بذلك عالم النفس والاجتماع من خلال الاشتغال على الآثار المتبادلة بين المرسل والمستقبل وبالعلاقة مع المحيط وهكذا.

## 2- نماذج من نظريات التواصل:

شهدت نظريات التواصل تطورا هاما منذ عشرينيات القرن الماضي، وتعمقت أشكال البحث والتحليل في هذا الإطار. ولأن المجال لا يسمح بالإحاطة بكل هذه النظريات بتفصيلاتها فإننا سوف نقتصر في هذا العمل على ثلاثة نماذج فقط هي: نموذج هارولد لاسفيل (Lasswell, 1948)، ونموذج شانون وويفر (Shannon , 1949) ، ونموذج جاكوبسون (Jakobson , 1964).

أ. نموذج هارولد لاسفيل. Lasswell, 1948.

لقد تطور لفظ «تواصل» انطلاقا من القرن 16 تقريبا نحو دلالة التبليغ التي تطابق اليوم المعنى الأكثر عمومية للفظ الذي يحيل على التبليغ المادي وعلى النقل أو التبليغ غير المادي. فلم يعد التواصل يعني مجرد التحكم في الرسالة بل أصبح يعني أيضا التحكم في الإرسال وذلك حتى يتوصل المتلقي بمحتوى الرسالة.

ويرى هارولد لاسفيل أنه لتبليغ الرسالة بشكل جيد، «يمكن اعتماد طرح الأسئلة التالية: من يقول ماذا؟ بأية قناة؟ لمن؟ بأية آثار؟ وتسمح هذه الأسئلة، حسب هارولد بالعثور على خطوات سيرورة التواصل وتحليله؛ بحيث أن (من يقول ماذا؟) تثير المرسل ومحتوى الرسالة؛ و(بأية قناة؟) تقترح قياس أهمية وجدوى الوسائط المستعملة في التواصل؛ بينما (لمن؟) تجعلنا بإزاء المتلقي في حين أن (بأية آثار؟) تسمح بالتساؤل حول أبعاد التواصل والأهداف المتعبة»

يعد هارولد لاسفيل من أوائل المختصين بالعلوم السياسية الذين اهتموا بالتواصل الجماهيري، وفي هذا الإطار يتعين فهم نموذج التحليلي الذي قدمناه والمرتکز على الأسئلة الخمسة بحيث إن كل سؤال منها يستدعي تحليله كعنصر متداخل مع باقي العناصر ضمن مسلسل تواصلي ديناميكي كما يلي:

إصدار الرسالة، وهذا العنصر يشير إليه السؤال: (من يقول؟). وهنا يتعين التركيز على المرسل والأهداف والدوافع التي جعلته يتجه إلى الجماهير ويخاطبها. فالسياسي الذي يتوجه

إلى الجماهير في مهرجان خطابي مثلا إنما يفعل ذلك بدافع استمالتهم من أجل التصويت عليه أو مسانده في خطوة سياسية يريد الإقبال عليها...

محتوى الرسالة والذي يجد تعبيره في سؤال: ( يقول ماذا؟). وفي هذا الإطار ينبغي أن ينصب التحليل على محتوى الخطاب وطريقة صياغته وتقديمه وذلك من أجل استنباط مختلف الرسائل و«الإشارات» التي يتضمنها.

تحليل القناة من خلال السؤال (بأية قناة؟). ويتناول هذا التحليل كل الجوانب التي تتعلق بجذوى القناة المستعملة وإلى أي مدى ستمكن من إيصال الرسائل التي يستهدف المرسل إرسالها بحيث تحدث التأثير المبتغى.

تحليل المستقبل أو المتلقي وهو ما يستدعيه سؤال: (لمن؟). إن هذا السؤال يستلزم في حالة الخطاب السياسي ضرورة تحليل المستهدفين به من حيث الجنس، السن، المستوى الاجتماعي والثقافي وكذلك الانتماء السياسي... فكل فئة من الفئات يصلح لها خطاب سياسي معين بمواصفات معينة بحيث إن عدم احترام هذه المعطيات قد يعرض الأهداف المرجوة من التواصل للخطر والضياع .

تحليل الآثار المتوقعة من عملية التواصل مع الجمهور (سؤال بأية آثار؟). وهنا يتعين دراسة التأثير المراد إحداثه أو الذي تم إحداثه فعلا من خلال التواصل على مستوى تجاوب الجماهير عبر قياس مدى انخراطهم في العمل المراد أو اتخاذهم المواقف المرجوة من طرف المخاطب. وهذا التحليل لا يقتصر على وصف هذه الآثار بل يمكن أن يتعداه ليشمل مختلف الأسباب والعوائق التي حالت دون التوصل إلى النتائج المرجوة أو تلك التي ساعدت في تحقيق أكبر قدر منها.

### المطلب الثالث: مفهوم التواصل أنثروبولوجيا واجتماعيا.

التواصل عملية اجتماعية إنسانية بالدرجة الأولى بالرغم من وجود كائنات أخرى تتواصل بينها مثل الحيوان والنبات؛ ولكن يبقى التواصل خاصا بالإنسان أكثر خاصة من ناحية الدراسات الأنثروبولوجية.

وفي ذلك يرى هابرماس أن التواصل أصبح له مفهوم متداول من جانب الديمقراطية التشاورية، ذلك أن السلطة التواصلية سلطة غير قمعية وغير قهرية؛ ليس قوامها الإكراه والهيمنة، لأنها نابعة من الفعل الجماعي، إنه التواصل السياسي عندما يغدو مؤسسات في دولة الحق والقانون<sup>1</sup>.

ومن هنا يتجلى تأثير الوظائف الاجتماعية والأدوار على عملية التواصل ضمن ما يمكن تسميته بلعبة التموّج ورسم الحدود أو «الخطوط الحمراء» التي يجب على الآخر عدم اجتيازها<sup>2</sup>.

#### 1- / مفهوم التواصل نفسيا وسلوكيا.

يعتبر الاتصال عملية تفاعل اجتماعي يهدف إلى تقوية العلاقات الاجتماعية في المجتمع عن طريق تبادل المعلومات والأفكار والمشاعر التي تؤدي إلى التفاهم والتعاطف أو التباغض<sup>3</sup>. لذلك فإن عملية التواصل لذلك فإن عملية التواصل والاتصال من الركائز في حياة الإنسان؛ فيها يستطيع الفرد التعامل مع الآخر وإيصال مشاعره ورغباته واحتياجاته، وتختلف عمليات التعبير باختلاف الأشخاص ونفسياتهم وطريقة تفكيرهم، لذلك فهذه العملية التي تظهر لنا بسيطة تحتاج إلى العديد من المهارات والتمكن، فإذا كان التفكير أول خطوات الاتصال والتواصل فالكلام

<sup>1</sup>-J.Habermas, **Droit et démocratie**, Trad .R. Rochlitz, Paris, 1997, p. 189.

<sup>2</sup>-E.Goffman, **La mise en scène de la vie quotidienne** (2 tomes), éd. de Minuit, 1973.

<sup>3</sup>-إبراهيم أبو عرقوب، الاتصال الانساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط 1، 1993، ص 17.

والاستماع ستكون خطوات تبعية للفكرة الأساسية التي تحدد مجال التواصل وكيفيته، وكلما كان التفكير متقنا جاءت الطريقة أسلم وكلما كان الآخر أكثر استعدادا لتلقي الرسالة كلما نجحت العملية الاتصالية، وذلك ما يجعل الكثير من الرسائل لا تصل أو لا تجد مجالاً للمرور بين شخصين وأكثر حيث تكون الفكرة خاطئة أو طريقة إيصالها بها خلل معين نفسياً كان أو سلوكياً. وقد ظهرت مختلف الدراسات النفسية والاستراتيجية لمعالجة هذا الخلل ومدى تأثيره على الفرد والمجتمع من حيث تفسيرها واستجابتها له، ومن ثمّ إحداث تغيير في مجموع سلوكياته تبعاً لمحتوى الاتصال.

وتعدد هذه الدراسات كان حتمية اجتماعية لتعدد أساليب الدعاية والاعلان وتغيير الاتجاه وغير ذلك من الأنماط المختلفة التي تعالج العلاقة بين هذه الأساليب وتأثيرها على نفسية الأشخاص.

ولعل هذا يدفعنا لطرح بعض التساؤلات التي سنحاول الإجابة عنها مثل:

❖ ماهي الآثار الناتجة لوسائل الاتصال الحديثة على الأفراد؟

❖ كيف يجيب علم النفس على الآثار المخلفة لوسائل الاتصال على الأفراد؟

❖ كيف يمكننا الوصول إلى تحقيق ثقافة التواصل المطلوبة عبر وسائل الاتصال

المختلفة؟

يعرف ليلاند براون Leland Brown الاتصال بأنه نقل وتلقي الحقائق والآراء والشعور

والاتجاهات والإحساس وطرق الأداء والأفكار بواسطة رموز من شخص إلى آخر، وان

هدف الاتصال هو أداء العمل المقصود مع خلق شعور وإحساس بأهمية الأداء.<sup>1</sup>

ويرى وارن H.C Warren أن مفهوم التواصل يشير إلى نقل انطباع أو تأثير من منطقة

إلى أخرى دون نقل فعلي لمادة ما، أو نقل انطباعات من البيئة إلى الكائن أو العكس أو من فرد

إلى آخر، وفي سياق آخر يرى الباحثين أن الاتصال أو التواصل بمعناه العام والبسيط يقوم على

<sup>1</sup>-عطوف محمود ياسين، مدخل في علم النفس الاجتماعي، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1989، ص 240.

نقل أو تبادل المعلومات بين أطراف مؤثرة ومتأثرة على نحو يقصد به ويترتب عليه تغيير في المواقف أو السلوك<sup>1</sup>.

وعند إبراهيم أبو يعقوب تعتبر العملية الاتصالية عملية ديناميكية، فنحن نتأثر بالرسائل الاتصالية الواصلة إلينا فنغير معلوماتنا واتجاهاتنا وسلوكنا، وفي المقابل فإننا نؤثر في الناس بالاستجابة لهم وتبادل الرسائل الاتصالية معهم بهدف التأثير على معلوماتهم واتجاهاتهم وسلوكهم؛ فعملية الاتصال بصفقتها عملية تفاعل اجتماعي تمكننا من التأثير في الناس والتأثر بهم، مما يمكّننا أن نغير من أنفسنا وسلوكنا بالتكيف مع الأوضاع الاجتماعية المختلفة، وهي كذلك عملية مستمرة، فنحن في اتصال دائم مع أنفسنا ومجتمعنا. وعملية معقدة لما تحويه من أشكال وعناصر وأنواع وشروط يجب اختيارها بدقة عند الاتصال مما يخلق عملية تواصلية ذات أهداف ووسائل معينة<sup>2</sup>.

لو عدنا للتعريفات السابقة دراسة وتحليلاً نجد أن الاتصال كما سبق الذكر عملية تشاركية أو ذاتية لا يستطيع الفرد الاستغناء عنها ولا المجتمع، فهو من الأمور المتجذرة في الناس وفطرة مراقبة للبشرية، ورغم أن الانسانية اعتادت على الاتصال والتواصل إلا أن الإنسان لا يستطيع التحكم في نفسه أثناء وقوع التواصل أو الاتصال بينه وبين غيره، وهذا الأمر قد يؤثر على نفسيته بشكل إيجابي أو سلبي، وذلك الذي ينتج سلوكيات الفرد سواء المرغوبة أو غير المرغوبة، فعندما يستطيع الشخص ويتمكن من إيصال رسالته بطريقته المفضلة والمؤثرة في الطرف المقابل وينجح بنسبة كبيرة مما توقعه تتأثر نفسيته إيجاباً وبالتالي يتحسن سلوكه ويرتقي والعكس صحيح حيث أن نسبة كبيرة من الذين لا يستطيعون إيصال أفكارهم وأحاسيسهم يصابون بمشاكل نفسية تؤثر على سلوكهم، ولعل هذا الطرح يجعلنا نسأل سؤالاً محورياً الإجابة عنه تجعلنا نفهم الصورة الحقيقية للتأثير والتأثر الحاصل على المستوى النفسي والسلوكي وهذا السؤال هو: كيف تتم عملية الاتصال أو التواصل؟

<sup>1</sup> - عبدالغفار رشاد، دراسات في الاتصال، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1984، ص 9.

<sup>2</sup> - إبراهيم أبو عرقوب، الاتصال الانساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، مصدر سبق ذكره، ص 50-51.

وللإجابة على هذا السؤال نتطرق إلى آراء علماء النفس الاجتماعي حيث ذهب بعضهم إلى أن عمليات الاتصال في الإنسان تقسم إلى خمس عمليات:

- **الإحساس وجمع المعلومات:** ويتم على مستواها استقبال المعلومات.
- **تخزين المعلومات:** ويتم على مستوى الذاكرة، والتذكر عملية ارتباط بين الخبرة والمفهوم بكلمات.
- **تفسير المعلومات:** يتم تقييم المعلومات في ضوء الإطار المرجعي لاتجاهاتنا ليتقرر ما إذا كانت تتعارض أو تتسجم مع موقفنا.
- **الاستدعاء والتذكر:** تتوقف القدرة على الاتصال على القدرة على استدعاء أفكار معينة وتحويلها إلى سلوك ظاهر.
- **عملية التحويل:** هي مرحلة ظاهرة للعيان أمام الناس، ليتعرف الآخرون على رغباتنا وهويتنا من خلال تعبيرنا، وخاضعة لنقدهم.<sup>1</sup>

وكما رأى العلماء ان العملية الاتصالية تمر عبر خمس مراحل؛ يرى باحثون في هذا المجال أن عملية التواصل تتم على درجات متفاوتة وتتحدد الدرجة التي يتم بها على أسس ثلاث:

❖ أنواع العمليات القائمة بتحقيق التواصل عن طريق الكلام أو الإشارات...

❖ خصائص المناطق المتواصلة.

❖ الحدود الفاصلة بين تلك المناطق.<sup>2</sup>

ومن خلال المعطيات السابقة يمكننا القول بأن التواصل أساس كل تبادل وتخابر وشرط لنجاح أي مهمة وأي علاقة، فالعلاقة مبنية على طرفين وهما المرسل والمستقبل وهذا

<sup>1</sup>-عطوف محمود ياسين، مدخل في علم النفس الاجتماعي، مصدر سبق ذكره، ص 243-246.

<sup>2</sup>- مجدي احمد عبد الله، مقدمة في سيكولوجية الاتصال والإعلام، دار المعرفة الجامعية، سوثير-الإسكندرية، ط 1، 2008، ص 22.

لا يوجب أن يكون المستقبل واحداً، فقد يكون المستقبل جماعة أو يكون ذات الشخص لذلك  
احتاج التواصل إلى بعض الخصائص ليحقق أهدافاً منها:

- نقل المعلومات والأخبار.
- تصحيح المفاهيم الخاطئة.
- تغيير سلوكيات واتجاهات الناس الخاطئة.
- إشباع حاجات الفرد والمجتمع.

## 2- عملية التواصل وأثارها النفسية الاجتماعية على الفرد والمجتمع:

يعمل الاتصال أو التواصل على تطوير وتقوية العلاقات الإنسانية في المجتمع وبالتالي التماسك والترابط والتواصل بين الأفراد والجماعات والمؤسسات الاجتماعية. ويعتبر الفرد المحور الأساسي الذي يدور من حوله وبواسطته كل ما يتم في المجتمع الإنساني من عمليات اتصالية: فالإنسان يتصل بذاته ويتصل بغيره، فالتواصل شرط أساسي لتحقيق التكيف النفسي للفرد داخل الجماعة، ويستدل على تحقيق هذا التكيف بحدوث الاتزان داخل المجتمع.<sup>1</sup>

ومما لا شك فيه أن التعرض لسيكولوجية الاتصال والتواصل ينطلق من مبدأ الإشارة إلى الشخصية ومكوناتها، من جهة، والتوافق النفسي الاجتماعي من جهة أخرى. فالتواصل يتم أساساً من خلال شخصية الفرد وما ينظمها من مكونات مختلفة سواء كانت تلك الشخصية: شخصية المرسل أو المستقبل، أو بمعنى آخر أن الاستجابة أو التأثير لعملية الاتصال، إنما يتم أساساً من خلال العوامل النفسية التي تؤثر على سلوك الفرد واستجابته ومن أهمها الشخصية.<sup>2</sup> ودائماً وفي نفس السياق ذهب مجدي أحمد إلى ما ذهب إليه الجميع أن الاتصال والتواصل يؤثر في السلوك وأن السلوك الاتصالي إنما نابع من التغيرات النفسية.

<sup>1</sup>-مجدي احمد عبد الله، مقدمة في سيكولوجية الاتصال والإعلام، مصدر سبق ذكره، ص 22.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص 76.

وفي ذلك يقول مجدي أحمد لقد أجريت عدة بحوث تناولت عملية التواصل وأثارها النفسية الاجتماعية من عدة جوانب، وكلها تبرز مدى أهميتها في تحقيق الاتزان داخل الجماعة على أساس الحد الأدنى من التوترات. ولقد أوضحت هذه الدراسات الآثار المختلفة للتواصل بين أعضاء الجماعة والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

- تحقيق التقارب الذهني.
- تنميط الاتجاهات.
- زيادة اندماج الشخص في الجماعة.
- ازدياد كفاءة التفكير بزيادة موضوعيته نتيجة انخفاض نسبة العوامل الشخصية.
- زيادة تمكين الأعضاء من التوافق المتبادل في مستويات الشخصية المختلفة.<sup>1</sup>

ومن خلال ما سبق نستنتج أن التواصل يتحقق من خلال عمليتين اثنتين:

- أنه يزيد من قدرة الأفراد على التوافق المتبادل.
- يزيد من درجة اندماج الذوات في (النحن).<sup>2</sup>

من خلال هاتين العمليتين يظهر احتياج المجتمع إلى الآخر أو كما سماه -مجدي أحمد- «النحن» في العملية التواصلية الاتصالية، ومدى نجاعتها يعتمد على نجاح الفعالية والفاعلية الذين يكونان عنصر الجودة المؤثرة على تسوية النفسية وبالتالي صحة السلوك. ومن خلال هذا الطرح نستطيع القول أن: التواصل بين الأفراد داخل المجتمع يساعد على تغيير البناء المعرفي للإنسان، وبالتالي تعديل سلوكه تبعاً لمحتوى الاتصال بما فيه من تغيير الاتجاه، الدعاية، الإعلان، العلاقات العامة ضمن سيكولوجية تحدد معطيات مختلفة، يرجع جزء كبير منها إلى شخصية الفرد، مدى استجابته للتأثيرات المختلفة، مدى القدرة على التأثير على بناءه المعرفي، وبالتالي إحداث تأثير على سلوكه فيما بعد، وهنا

<sup>1</sup>-المصدر نفسه، ص 25.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص 24.

تكمن أهمية النظر في أنماط الاتصال المختلفة وأثارها النفسية والاجتماعية، وذلك ما جعل لها حيزا في الدراسات النفسية وطروحات علمية تبحث عن طريق إنشاء نظريات ونماذج تطبق عليها، وهنا نستطيع طرح السؤال التالي: ما هي تأثيرات وسائل الاتصال المختلفة في الفرد من منظور علم النفس؟

يتفق علماء النفس على اعتبار الإنسان مزيج من العمليات النفسية الداخلية والتي يشار إليها بالسلوك الباطني، ومجموعة من السلوكيات الخارجية التي تعكس شخصية الفرد ضمن ظروف بيئية واجتماعية معينة، وعليه يمكن تعريف السلوك بأنه كل الأفعال والنشاطات التي تصدر عن الفرد ظاهرة كانت أم غير ظاهرة إن التعريف العلمي للسلوك يجب أن يأخذ بعين الاعتبار التفاعل بين الفرد وبيئته وان يشير إلى أن هذا التفاعل عملية متواصلة، فالسلوك ليس شيئا ثابتا ولكنه يتغير، وهو لا يحدث في فراغ ولكن في بيئة ما.<sup>1</sup> يشير علماء النفس إلى أن التأثير في السلوك يحدث عندما يفعل شخص ما أي شيء من شأنه أن يؤثر في سلوك شخص آخر وهو الأمر الذي يحدث باستمرار في مواقف مختلفة مثل الإعلانات، الحملات الانتخابية، التفاعلات الاجتماعية وغيرها.<sup>2</sup>

وتلعب العمليات المعرفية والرمزية دورا كبيرا في عملية تشكل السلوك من حيث كيفية إدراك الأحداث البيئية، وتفسير الشخص ذاته لسلوكه وتبريره له، وأنماط التفكير لدى الشخص، والتحدث إلى الذات، والاستراتيجيات المعرفية التي يستخدمها الشخص؛ فاكتساب الفرد للسلوك أو عدمه اكتسابه له يعتمد على عوامل معرفية مختلفة، وبناءً على هذا فان أفعال الإنسان محصلة لعوامل ثلاثة أساسية هي السلوك، المؤثرات البيئية، والعوامل المعرفية.

---

<sup>1</sup>- جمال الخطيب، تعديل السلوك الإنساني، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، دار حنين للنشر والتوزيع، 2007، ط 2، ص

17-18.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص 14.

وعلى غرار الدراسات المذكورة نحت الكثير من دراسات آخر تناولت تأثيرات وسائل الاتصال على السلوك بأنماطه المختلفة مثل السرور والعدوان واللعب والمرح وغيرها من وسائل مخاطبة المشاعر وتحريك الأحاسيس لمحاولة الاندماج داخل المجتمع، إلا أننا ومهما أدرجنا من دراسات غير أن فهم التواصل من وجهة نظر علم النفس يبقى مرتبطاً بمعرفة حاجات الفرد للغير وللتواصل ولإشباع حاجاته النفسية المتمثلة في كثير من رغبات كامنة لمتطلبات الحياة الطبيعية كالأمن والاحترام وغيرها، وقد قام أبراهام ماسلو Abraham Maslow بتصنيف هذه الحاجات إلى أربع مستويات ترتبط بالجانب النفسي وتكيف الفرد مع بيئته وحفاظه على صحته النفسية:

- **الحاجة إلى الأمن:** الأمن هو تحرر الفرد من الخوف، وهو من شروط الصحة النفسية. ويتوفر الأمن النفسي للفرد مع شعوره بأنه قادر على الإبقاء على علاقات مشبعة ومتزنة مع الناس.
- **الحاجة إلى التقدير الاجتماعي:** إن التقدير الاجتماعي الذي يتمتع به الفرد ذا صلة وثيقة بتأكيد الأمن النفسي لديه، ويتحقق التقدير الاجتماعي بشعور الفرد بالقبول من طرف الآخرين، وبأن ما يقوم به له وزن وقيمة عند الناس. فإذا نجح في ذلك تزداد ثقته بنفسه وبعمله، ويشعر بتقدير الآخرين له وهذا يؤدي به إلى أن تكون له مكانة اجتماعية، والشعور بالانتماء والحب.
- **الحاجة إلى الانتماء:** الإنسان دائماً في حاجة إلى جماعة قوية ينتمي إليها ويتوحد معها حتى يتخلص من التوتر النفسي والقلق ويحقق التوافق النفسي. ومن شروط إشباع الحاجة إلى الانتماء أن يتقبل الفرد جماعته التي ينتمي إليها، وأن تتقبله هذه الجماعة، والدافع إلى الانتماء قد يدفع إلى المسايرة والتوافق معها أو قبول ما انتقلت عليه من معايير وأنماط سلوكية.

• **الحاجة إلى التعبير عن الذات وتوكيدها:** هي الحاجة التي تدفع الفرد إلى الإفصاح عن ذاته، سواء كان هذا في عمل أو في موقف، والتعبير عن شخصيته وتوكيدها وإظهار ما لديه من إمكانيات.<sup>1</sup>

• نستنتج أن حاجات الانسان لتفاعله مع الاخر لابد من تحقيقها خاصة في الأوساط الجماهيرية وهذا ما يتطلب أعمال الإعلام.

وحدد كاتز وجوريفتش وهاس Katz Gurevitch & Haas حاجات الأفراد التي تحتاج إلى إشباع، عن طريق استعمال وسائل الإعلام كما يلي:

❖ **الحاجات المعرفية:** وهي الحاجات المرتبطة بتقوية المعلومات والمعرفة وفهم بيئتنا وهي تستند إلى الرغبة في فهم البيئة والسيطرة عليها، وهي تشبع لدينا حب الاستطلاع والاكتشاف.

❖ **الحاجات العاطفية:** وهي الحاجات المرتبطة بتقوية الخبرات الجمالية، والبهجة والعاطفة لدى الأفراد. ويعتبر السعي للحصول على البهجة والترفيه من الدوافع العامة التي يتم إشباعها عن طريق وسائل الإعلام.

❖ **حاجات الاندماج الشخصي:** وهي الحاجات المرتبطة بتقوية شخصية الأفراد من حيث المصادقية، والثقة والاستقرار ومركز الفرد الاجتماعي وتتبع هذه الحاجات من رغبة الفرد في تحقيق الذات.

❖ **حاجات الاندماج الاجتماعي:** وهي الحاجات المرتبطة بتقوية الاتصال بالعائلة والأصدقاء والعالم، وهي حاجات تتبع من رغبة الفرد للانتماء.

❖ **الحاجات الهروبية:** وهي الحاجات المرتبطة برغبة الفرد في الهروب، وإزالة التوتر، والرغبة في تغيير المسار.<sup>1</sup>

<sup>1</sup>-عباس محمود عوض، علم النفس العام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط 1، 1987، ص 78-81.

من منطلق الحاجات المختلفة التي يحتاج الإنسان إشباعها تظهراهم حاجات الجمهور والتي يتمتع بها الفرد تلقائياً ويستخدمها وتعتبر من أنماط الاتصال التي يصادفها في حياته اليومية مثل الدعاية والاعلان، وبالتالي نستطيع التطرق لهذين العنصرين ودراسة مدى تأثيرهما على الانا والآخر.

حيث يعتبر الإعلان من طرق الاتصال وكذلك الدعاية حيث صنفا من طرق التواصل المؤثرة على الناس بطرق مختلفة ولأهداف متنوعة، فهي تستخدم الأساليب نفسها لمحاولة التأثير والسيطرة على الناس.

ويرى الباحثون في ميدان الاتصال أن هناك صلة بين مصطلحا الدعاية والإعلان، ولعل الفارق الأساسي يكمن بينهما في الهدف والنتيجة، فالإعلان يهدف إلى تسويق منتج أو فكرة ويؤدي إلى أن يقوم الجمهور بالمبادرة بعمل ينسجم مع هدف المعلن، فالإعلان إذن هدفه تجاري ونتيجته تسويق السلعة المعلن عنها، أما الدعاية فان هدفها سياسي أو اجتماعي أو عقائدي، ونتيجتها استمالة المستهدفين وإقناعهم بمواقف وأفكار الدعائي والوقوف بصفه.<sup>2</sup>

ومصطلحي الدعاية والاعلان مشتركان في المعنى وذلك بسبب تداخلهما في الأساليب والوسائل وكذلك الأهداف والغايات وهذا ما يراه مجدي أحمد كذلك في كتابه مقدمة في سيكولوجية الاتصال والإعلام.<sup>3</sup>

من خلال هذا الطرح أصبح لزاما علينا تناول هاذين المصطلحين من حيث استمالتهما للعقول وتأثيرهما في سلوك ونفس الفرد والمجتمع تباعا. دون أن يخفى علينا أنها من أدوات العصر الحديث في التواصل.

---

<sup>1</sup>-صالح أبو إصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، دار أرام للدراسات والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 3، ص 111.

<sup>2</sup>-صالح أبو إصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، مصدر سبق ذكره، ص 171.

<sup>3</sup>-مجدي احمد عبد الله، مقدمة في سيكولوجية الاتصال والإعلام، مصدر سبق ذكره ص 163.

لعل ما يقوي هذا الكلام؛ التأثير النفسي الحاصل منهما والمسبب لتغيير السلوك سلبا وإيجابا، وكما اعتدنا، الكلام عن أي مصطلح يستلزم تعريفه، لذلك سنتناول عدة تعريفات لمصطلح الدعاية ثم الإعلان.

### 1-تعريف الدعاية.

يرى C.Brown أن الدعاية من حيث اعتبارها محاولة لإقناع الآخرين بتبني اتجاه معين دون إعطاء أي دليل منطقي لقبوله.

وقد قدمت د.جيهان أحمد رشتي تعريفا للدعاية على أنها محاولة متعمدة من فرد أو جماعة باستخدام وسائل الإعلام، لتكوين الاتجاهات أو السيطرة على الاتجاهات، أو تعديلها عند الجماعات وذلك لتحقيق هدف معين، وفي كل حالة من الحالات يجب أن يتفق رد الفعل مع هدف رجل الدعاية.<sup>1</sup>

وبتبسيط التعاريف نجد أن الدعاية هي نشر المعلومات وفق اتجاه مرسوم -ومخطط من جهات معينة، وذلك للتأثير في الرأي العام تجاه تلك الجهات، وتغيير النتائج بتغيير استخدام وسائل الإعلام.

وإذا قمنا بتحليل هذه التعاريف نتوصل إلى القول ب:

- أن الدعاية تكلف صاحبها نوعا من التورية أو تزييف الحقائق وإخفائها.
- أن الهدف من الدعاية هو التأثير في اتجاهات الناس وآرائهم وأفكارهم وسلوكهم.
- قيادة الحركات الاجتماعية والسيطرة على تفكير الافراد.

ومن ثم نستطيع القول أن الدعاية هي محاولة التأثير في اتجاهات الناس وتكويرهم.

<sup>1</sup>- صالح أبو إصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، مصدر سبق ذكره، ص 173.

## 2-الإعلان.

يعرفه س. و دُن ورفيقه Dunn et al، أنه اتصال غير شخصي مدفوع ثمنه عبر الوسائل الإعلامية المختلفة من قبل المؤسسات التجارية والمنظمات غير الربحية، والأفراد الذين بطريقة ما يتم التعرف على هويتهم في الرسالة الإعلانية، والذين يأملون إعلام أو إقناع جمهور معين.

وهما يريان أن مفتاح هذا التعريف يكمن في الكلمات "غير شخصي ومدفوع، الوسائل، التعرف، «الإقناع» وهي التي تفرق بين الإعلان وغيره من أشكال الاتصال الأخرى.

ولكن يبقى مما لاشك فيه أن الإعلان قائم على أساليب نفسية بغرض "الإقناع" الذي يمثل الهدف الأساسي منه، والذي يقوم على محاولة تغيير البناء المعرفي للفرد، ويقوم على فرضية تعديل السلوك المعرفي التي تعتبر أن الإنسان ليس سلبياً، فهو لا يستجيب للمثيرات البيئية فحسب، ولكنه يتفاعل معها، ويكوّن مفاهيم حولها وهذه المفاهيم تؤثر في سلوكه، ويسمى ألبرت باندورا هذا التفاعل بالاحتمية المتبادلة، وما يعنيه ذلك هو أن الإنسان يطور مفاهيم معينة عن المثيرات البيئية وعلاقتها ببعضها ببعض، وهذه المفاهيم بدورها تؤثر في ردود الأفعال التي تحدث لديه، والسلوك الذي يصدر عنه<sup>1</sup>. ويبدو واضحاً من هذه التعاريف أن عملية الدعاية والإعلان لها دور كبير في التأثير على سلوك الأنا والآخر باستخدام وسائل الإعلام التي تستهدف عقول الناس للتأثير في النفس وتغيير السلوك، وتكون قد ساهمت في زيادة الوعي لدى الفرد وتجعل له اتجاهات سليمة واجراء تعديلات مدروسة، قائمة على أسس علم النفس.

<sup>1</sup> - جمال الخطيب، تعديل السلوك الإنساني، مصدر سبق ذكره، ص 334.

أن الدعاية عبارة عن تكتيك للضغط الاجتماعي، الذي يميل إلى خلق جماعات في بناء نفسي أو اجتماعي موحد عبر تجانس في الحالات العقلية والعاطفية للأفراد موضع الاعتبار.

وقد اعتبر جاك أيلول Jacques Ellul الدعاية ظاهرة اجتماعية، ويجب تناولها على هذا الأساس، لذا فهو يرى أن الدعاية بمعناها الواسع تشمل الحقول التالية:

• **العمل النفسي: Psychological Action** حيث يسعى الدعائي إلى تعديل الآراء

بطرق سيكولوجية صرفه، وغالبا ما يتابع هدفا شبه تعليمي ويخاطب بنفسه مواطنيه.

• **الحرب النفسية: Psychological Warfare** وهنا يتعامل الدعائي مع خصم

أجنبي ويسعى إلى تحطيم معنوياته بأساليب نفسية ومنطقية، ومن ثم يبدأ الخصم بالشك بمعتقداته وبأفعاله.

• **إعادة التعليم وغسيل الدماغ: Re-Education Brain Washing** وهي طرق معقدة

لتحويل الخصم إلى حليف ويمكن استخدامها فقط مع السجناء.

• **العلاقات العامة والإنسانية: Public Human Relation** وهو يرى انه يجب إدخالها

ضمن الدعاية لأنها تسعى إلى تكيف الفرد مع المجتمع مع نمط معيشة أو نشاط ما، وهي تستخدم لتجعل الفرد منسجما معها وهو هدف الدعاية

ويهدف الإعلان إلى إقناع الفرد المستهلك للاطلاع على منتوجاته وتبنيها كواجهات

استعمالية وهذا ما خلق لها وظائف حصرها الباحثون فيما يلي:

- **الوظيفة التسويقية:** يقوم الإعلان بتزويد الجمهور بمعلومات عن السلعة مثل

خصائصها وسعرها ومكان بيعها، مما يساعد على إقناع المستهلك بتكرار شراء السلعة، أو إقناعه باستعمالها إذا كانت جديدة.

- **الوظيفة التعليمية:** يقوم الإعلان بتعليم الأفراد طرقا جديدة لتحسين أساليب حياتهم، ويتم

ذلك من خلال قوة الإعلان الإقناعية.

-**الوظيفة الاقتصادية:** إن الإعلانات تسعى إلى ترويج السلع، مما يعزز التجارة ويدعم النشاط التجاري والصناعي داخل المجتمع ذاته، ويقوم الإعلان بتسهيل عملية التسويق وتخفيض تكلفته مما يؤدي إلى زيادة التسويق وزيادة الإنتاج، مما يؤدي إلى الانتعاش الاقتصادي ويؤثر بالتالي على سوق العمل في الحد من البطالة.

-**الوظيفة الاجتماعية:** مما لا شك فيه أن التأثيرات الاجتماعية للإعلان تتضح في قدرته على المساعدة في تحسين ظروف الحياة، وذلك من خلال تقديم أنواع من السلع وأساليب الحياة الاجتماعية التي تعمل على رفع مستوى الحياة وتحسين ظروفها وقد تصل إلى حل بعض المشكلات الاجتماعية.

-**الوظيفة الترفيهية:** من الوظائف الجانبية التي يحققها الإعلان الترفيه وخصوصا الإعلانات التلفزيونية، والإعلانات الملونة في المجلات، وتستخدم الأغاني والرقصات في الإعلانات التلفزيونية، والتي يصبح الاستمتاع بها عند البعض هدفا في حد ذاته.<sup>1</sup>

يركز الإعلان الهادف على ميول الجمهور التي تأخذ أشكالا مختلفة، فيستغل ميل الناس إلى (التقليد والمحاكاة والتأثر بالإيحاء). ويخاطب الإعلان الناجح (الحاجات النفسية) للجمهور، كالحاجة إلى (الأمن)، حاجة الإنسان (للحياة أفضل) فيؤكد للمستهلك معنى التفاوض وضمان الصحة مثلا. ويرتكز الإعلان الناجح على (فهم وتحليل وإشباع) سيكولوجية الجمهور، فعند (تصميم الإعلان) تدرس المؤسسة ماذا يريد الناس؟ ماهي وسائل إقناعهم؟ ماهي نقاط ضعفهم؟ ولا يتم تصميم دعاية أو إعلان إلا بعد أن تدرس احتياجات كل فرد من المجتمع باختلاف الدور الذي يلعبه.<sup>2</sup>

بما أن كل عمل ناجح لا بد أن يكون مبني على أهداف محددة، فإننا نتساءل: هل تحقق الدعاية والاعلان الهدف المنشود وهو التواصل في ظل التكنولوجيا الحديثة؟

<sup>1</sup> - صالح أبو إصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، مصدر سبق ذكره، ص 202.

<sup>2</sup> - عطوف محمود ياسين، مدخل في علم النفس الاجتماعي، مصدر سبق ذكره ص 229-230.

والاجابة عن هذا السؤال تستدعي دراسة موضوعات مهمة في هذا المجال كدراسة:

-وسائل الإعلام والاتصال الاجتماعي وأهمية ذلك في عملية التنشئة الاجتماعية.

-الدعاية وأسسها ومبادئها وفعاليتها واللحظات السيكولوجية المناسبة لها.

-المواقف الاجتماعية المختلفة التي يعمل الفرد في إطارها.

-دراسة الجمهور وجماعة الرأي العام.

-دراسة شخصية الأفراد والجماعات وكيفية التأثير فيها.

-الوسائل والأساليب المناسبة للتأثير على الأفراد والجماعات.

-الدعاية والإشاعات وغيرها من وسائل الحرب النفسية.<sup>1</sup>

وفي هذا الخصوص يرى جاك أيلول Jacques Ellul أن الدعاية لم تبق على ما كانت عليه

سابقا ويظهر ذلك من خلال:

❖ أصبحت الدعاية الحديثة تركز على التحليلات العلمية في ميداني علم النفس والاجتماع، وأصبح الدعائي يبني تكتيكاته على معرفته للإنسان، ميوله ورغباته وحاجاته وميكانيزماته النفسية وظروفه، ويعتمد كثيرا على علم النفس وبالأخص على علم النفس الاجتماعي.

❖ إن الدعاية أصبحت علمية، إذ تميل إلى تأسيس مجموعة من القوانين الدقيقة والصارمة والتي جرى اختبارها.

❖ ما يحتاجه الدعائي الآن هو تحليل دقيق للظروف وللشخص الذي سيتعرض للدعاية ضمن تلك الظروف، لأن نوعا من الدعاية لأفراد في ظرف ما تكون نافعة، ولكنها لا تنتج في ظروف أخرى أو مع أفراد آخرين.

---

<sup>1</sup>-مجدي احمد عبد الله، مقدمة في سيكولوجية الاتصال والإعلام، مصدر سبق ذكره، ص 155-156.

❖ زيادة المحاولة للسيطرة على استخدام الدعاية وقياس نتائجها وتحديد تأثيراتها. وأصبح

يسود ما يمكن أن نسميه بالدعاية العقلانية<sup>1</sup>

والنقاط الماضية أنتجت أنواعا من الدعاية مختلفة التوجهات؛ فظهرت الدعاية السياسية والدينية والاجتماعية حيث تتماشى الأهداف مع التوجهات وفق أنماط دعائية مختلفة متماشية ولو جزئيا مع أنماط التفكير الجماعية والفردية في محاولة لزرع أفكار تغير مجرى الاتجاه الفكري والتوجه العام للمجتمع وفق نظرة سابقة للدعاية والاعلان. وفي هذا أشار الدوس هكسلي Aldus Huxley إلى أن الجانب النفسي مهم في الدعاية لأن الفعالية مرتبطة بنوعين من الظروف:

✚ ظروف خارجية عن الفرد مثل ظروف الحرب التي تغير وسائل الإنتاج.

✚ ظروف داخلية أو سيكولوجية ترافق تغير الظروف الخارجية<sup>2</sup>

وهذا يوضح لنا أن الدعاية مرتبطة بالجانب النفسي والسيكولوجي للفرد؛ فهي تنطلق من دراسة الخصائص النفسية وذلك يفسر تغيير نمط الدعاية والإعلان من بلد لآخر ومن مجتمع لآخر باختلاف الثقافات والنفسيات والمعتقدات، فالإعلان الغربي يختلف عن الإعلان العربي وإن اشتركا في أفكار معينة واختلفا في المضمون ذلك أنهما من أنماط الاتصال والتواصل المرتبط بالفرد أولا والمجتمع تبعا فهي الدعاية تستميل الفرد إلى قبول شيء قد لا يكون يعرفه وحتى إن عرفه قد يكون لا يستسيغه لكن الطريقة والبريق الإعلامي يؤثران على تغيير السلوك وبالتالي قبول المرفوض سابقا.

ومن هنا تكمن أهمية العناية بموضوع الدعاية من حيث أن له قدرة كبيرة على التأثير على الفرد قد تصل إلى حد التغيير من سلوكه، فهي -مؤثر خارجي- يؤثر في سلوك الفرد والجماعة وتستخدم الدعاية أساليب متعددة كجعل ركيزة كل جديد قواعد القديم الذي إعتاده

<sup>1</sup>- إبراهيم أبو عرقوب، الاتصال الانساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، مصدر سبق ذكره، ص 176.

<sup>2</sup>- صالح أبو إصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة مصدر سبق ذكره، ص 184.

الناس لسهولة استمالتهم كما قد يستخدم في الدعاية التكرار الغير ممل والغير ملحوظ للفت النظر وشد الانتباه وكثيرا ما يستخدم كذلك إدخال الأعراف والمرجعيات في هذه الأمور مع تغييرات مؤثرة وغير ملحوظة وهذا ما يشكل تغييرات سلوكية وفكرية في المجتمع قد تصل إلى تشكيل رأي عام موحد حول موضوع معين كانت الركيزة للوصول اليه الدعاية والاعلان؛ وبطبيعة الأمر الدعاية تستخدم في حملاتها وسائل مختلفة مثل الصحافة والتلفزيون ومختلف الوسائل الحديثة للوصول إلى النتائج المرجوة.

اختلاف الوسائل يجعل مميزاتا متفاوتة وما يضبط الوسيلة المناسبة هي الهدف المنتظر تحقيقه إضافة إلى ذكاء الدعائي الذي يجعله يختار بدقة، وحسب ما ذكره مجدي أحمد فإن الدعاية نوع من الإعلام الذي ستخدم فيه:

أ- الإيحاء والاستهواء والإقناع.

ب- استغلال تأثير الجماعة المرجعية على الفرد

ج- محاولة الوصول إلى بؤرة اهتمام الأفراد.

د- استغلال الدوافع النفسية للأفراد وعواطفهم وميولهم النفسية.

هـ- استغلال اللحظات المناسبة في التأثير على الناس<sup>1</sup>

ويعتبر الإعلان من جهته ذو قوة تؤثر على وعي المرء وسلوكه، وهذا التأثير له جوانب معرفية وعاطفية وسلوكية ويقدم لافيدج و ستينر LavidgeSteiner and نموذجاً لتأثير الإعلان، وهو نموذج لقياس فعالية الإعلان. ويتدرج من مرحلة وعي المرء عن طريق الإعلان بوجود سلعة ما، إلى مرحلة الحصول على معرفة من خلال ما يقدمه الإعلان من حقائق ومعلومات، ثم المرحلة التي يقوم المرء فيها بربط هذه المعرفة بحاجاته ورغباته مما

<sup>1</sup>-مجدي احمد عبد الله، مقدمة في سيكولوجية الاتصال والإعلام، مصدر سبق ذكره، ص 161.

يؤدي إلى تفضيله لسلعة ما، وتحفزه الإعلانات إلى الاقتناع بالسلعة، ثم يصل به الأمر إلى أن يبادر إلى الشراء.<sup>1</sup>

ويرى فراى Frye أن هناك أساليب للتأثير يستخدمها الإعلان منها:

• **الأساليب المنطقية:** هي مناشدة للعقل وموجهة إلى الفكرة وتستند إلى التعليل في الإقناع وهي ذات مدى طويل للتأثير.

• **الأساليب العاطفية:** هي مناشدة للجانب الانفعالي عند الإنسان، وهي ترمي للتأثير في الانفعالات أكثر من التأثير على العقل والفكر.<sup>2</sup>

وهكذا يتضح ارتباط الإعلان بالجانب النفسي والسلوكي للإنسان وذلك من خلال استخدامه لأساليب نفسية وإقناعية، فالإقناع أسلوب مؤثر في عقل الانسان ونفسيته وسلوكه وهذا ما يقوي طرحنا السابق وهذا ليس إلا نتيجة حتمية لمقدمات كانت في البداية فرضيات تحولت إلى نتائج من خلال الدراسات والعودة إلى كلام باحثين وأخصائيين عضدوا الطرح بأرائهم الشبيهة والقريبة والتي تكون في مواقف مطابقة لمقدماتنا التي بها وصلنا لهذه النتائج. ومن بين النتائج التي توصلنا إليها:

- أن أسلوب التكرار والصور النمطية، والاستشهاد والمبالغة وغيرها من الأساليب النفسية المؤثرة في السلوك.

- استخدام الأساليب النفسية التي تخاطب الجانب العقلي والجانب النفسي للفرد تؤثر على سلوكه في الزمان والمكان؛ فمثلا لقد رأينا التأثير البالغ والدور الذي جسده الدعاية والاعلان خلال فترة فيروس كوفيد 19 الذي اجتاح العالم وهدده بالانهيار في شتى المجالات، إلا أن الإعلانات لعبت دورا مهما في توعية الناس لمعرفة الخطر ولتوخي الحذر وتتبع السبل

<sup>1</sup>-صالح أبو إصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، مصدر سبق ذكره، ص 204.

<sup>2</sup>-صالح أبو إصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، نفس المرجع، ص 205.

اللازمة للوقاية وللمحد من انتشار المرض، وكذلك انتشرت مختلف الدعايات المخيفة التي اتبعت أساليب قد تستخدم فيها بعض التورية والكذب لتضخيم ما وصل واستقرأ ما سيصل إليه العالم للتأثير على السلوك وتغيير الفكر الفردي والجمعي، وفعلا نجحت الدعاية والإعلان في جعل العالم في مدة وجيزة يخضع لسيطرة على العقول واتباع خطوات معينة من جميع العالم وأصبح المواطن الصيني والفلسطيني والجزائري والأمريكي صورة واحدة بقفازات وكمامة والتزام التباعد كل ذلك حدث فجأة وفي نفس الوقت نتيجة الإعلام والدعاية والإعلان الذين استخدموا و-استغلوا- جميع الوسائل المتطورة للوصول لذلك.

**3-سيكولوجية العلاقات العامة:**العلاقات العامة هي شكل إداري للاتصال الشخصي والجماهيري التي تقوم بها إدارات المؤسسات للمساهمة في تنفيذ وتكوين وسائل الاعلام الجماهيري بالتعرف على اتجاهاتهم وتوجهاتهم، من خلال إلقاء نظرة على صورة المؤسسة أو الإدارة لدى الأفراد المشكلين للمجتمع، وذلك لقياس النجاح من الفشل ومعرفة الصورة الحقيقية لدى الجمهور لتطوير الإنتاجية وتفعيل الفعالية والفاعلية والتركيز على الجودة وصولاً للنجاعة، وهي تقديم أفضل الخدمات والإنتاج.

ولا يتم التعرف على ذلك إلا عن طريق علاقات عامة مبنية على الاتصال والتواصل والوسائل الحديثة التي كلما كانت أحدث كلما كانت أسرع وأفضل وأرقى، وتعتبر العلاقات العامة مجموعة الجهود المقصودة المستمرة والمخططة التي تقوم بها إدارة المؤسسة، وتهدف إلى الوصول إلى تفاهم متبادل وعلاقات سليمة بين المؤسسة والجمهور خدمة لأهدافها.

لتعريف العلاقات العامة نورد بعض التعريفات التي أوردتها آية نصر في مقال لها على موقع الكتروني بعنوان: تعريف العلاقات العامة وأهميتها؛ حيث أوردت تعريفات هامة ومختلفة منها:

**1-تعريف كانفيلد ومور:** نوع من أنواع الفلسفة الاجتماعية والتي يتم التعبير عنها عن طريق الأنشطة والسياسة المعلنة التي تتوافق مع إدارة المؤسسة أو الشركة أو المكان مما يتيح لها كسب ثقة الجمهور وزيادة تفاهمه، لهذا التعريف أهمية كبيرة وبالأخص من خلال الاتصال المزدوج، حيث أنه عملية التبادل تؤدي إلى بعض المميزات حيث أنها: تعمل على تحقيق قدر كبير من التفاهم بين المؤسسة والجمهور، وأن الثقة بين المؤسسة والجمهور لا تأتي بسهولة بل بجهد مستمر في أثبات الكفاءة والجودة.

**2-تعريف جريزلويد:** يمكن تعريف العلاقات العامة على أنها وظيفة من اختصاص الإدارة حتى يتم تقويم اتجاهات المؤسسة والمجال بشكل مستمر، واختيار البرنامج المناسب لكسب رضا الجمهور وتنفيذه بشكل سريع بما يتماشى مع اتجاهات المؤسسة ومصصلحة الفرد.

**3-تعريف بول جاريب:** حيث يُعرفها بأنها الجهود المستمرة التي تفعّلها الإدارة من أجل كسب ثقة الجمهور بشكل كبير، وليس مجرد تحسين الشكل الظاهري للمؤسسة دون الاهتمام برضا العميل أو اهتماماته.

#### **4-تعريف ادوارد روبنسون رئيس قسم البحوث بمعهد العلاقات العامة الأمريكي:**

حيث انه يرى العلاقات العامة على أنها علم اجتماعي وسلوكي وتطبيقي، فهي وظيفة يتم عن طريقها قياس وتفسير اتجاهات الجماهير المختلفة التي تتعلق بالمؤسسة، كما أنها تساهم في تحديد الأهداف بشكل يضمن زيادة التفاهم بين الجمهور والمؤسسة وزيادة نسبة قبول الجمهور لمنتجات المؤسسة وتجربتها، مما يعمل على تحقيق التوازن بين أهداف المؤسسة وبين احتياجات الجمهور<sup>1</sup>.

وما نستخلصه من هذه التعريفات أن العلاقات العامة من وظائف الإدارات التي تكون لها اتصالات بالجماهير لمعرفة مدى الرضا والقبول تجاه منتج معين أيا كانت صبغته، وتتعدد مجالات العلاقات العامة بتعدد الأنشطة الاجتماعية التابعة لكل إدارة، قال مجدي أحمد في هذا

<sup>1</sup>-آية ناصر، تعريف العلاقات العامة وأهميتها، <https://bit.ly/3Hgeapw>، 20، أوت، 2020، تم الاطلاع عليه

2022/02/24، على 15:30.

السياق: وقد تعددت مجالات العلاقات العامة-وجاء هذا التعدد لكي يعكس طبيعة الحياة وأنشطتها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية -وكذلك تتميز بالتغير الدائم لكي تواكب طبيعة التقدم عامة. وبهذا نجد أن العلاقات العامة كأحد مظاهر عملية الاتصال الإنساني، فقد أصبحت مطلباً أساسياً لمؤسسات المجتمع ونظمه المختلفة: الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، تحقق من خلالها أهدافها المختلفة، ويعمل من خلالها خبراء العلاقات العامة في تلك النظم والتنظيمات.<sup>1</sup> وهي تتخذ في ذلك وسائل الإعلام كأهم وسيلة اتصالية مثل استخدام الإعلان لتحقيق فهم للمؤسسة، أو لتوصيل رسائل خاصة تهدف إلى فهم واضح من قبل الجمهور<sup>2</sup>

ولكل إدارة أهداف، وبما أن العلاقات العامة متضمنة ضمن الإدارة؛ أصبح لها حتى هي أهداف منها:

- 1) كسب ثقة الناس في المنظمة أو المؤسسة أياً كان نشاطها.
  - 2) الاحتفاظ بمستوى مرتفع من الروح المعنوية بين الموظفين والعاملين بالمؤسسة.
  - 3) رعاية العلاقات الإنسانية السليمة داخل المؤسسة وخارجها.
  - 4) العمل على كسب ود الجماهير إزاء المؤسسة والتأثير في الرأي العام وتأييده<sup>3</sup>
- وكذلك؛ كما هو الحال في كل إدارة، الأهداف تتحدد وفق نوعية النشاط، وهذا ما جعل علماء الاختصاص يتفقون على أهداف معينة للعلاقات العامة مثل:

- استخدام الوسائل الفعالة للتأثير في الرأي العام.
- تقدير قيمة الرأي العام وقياسه والكشف عن دوافعه وطرق إثارته ومعالجه ومشكلاته داخل المؤسسة وخارجها بهدف مساعدته والتوافق معه.

<sup>1</sup>-مجدي احمد عبد الله، مقدمة في سيكولوجية الاتصال والإعلام، مصدر سبق ذكره، ص 158.

<sup>2</sup>-صالح أبو إصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، مصدر سبق ذكره، ص 244.

<sup>3</sup>-مجدي احمد عبد الله، مقدمة في سيكولوجية الاتصال والإعلام، مصدر سبق ذكره، ص 157.

• وضع البرامج المخططة والصالحة لتقييم هذا الغرض الثاني بشكل دوري مع المتابعة والتطوير<sup>1</sup>.

يبقى الحديث عن وظيفة العلاقات العامة فمثلا يرى بيرنايس Bernays أن وظائف العلاقات العامة تاريخية وتتمثل في إعلام الناس وإقناعهم وإدماج الناس بعضهم مع بعض ووظيفة الإدماج وظيفة هامة للعلاقات العامة، التي تسعى إلى تكييف الناس وإلى أن يقوموا بالتفسير وإلى اندماج الأفراد والجماعات والمجتمع، وفهم الناس أساسي للوجود في ظل المجتمع التنافسي، والمعرفة هامة لكل فرد للتعامل مع الجمهور، ومن خلال العلاقات العامة يمكن للفرد أو الجماعة أن يضمن القرارات العامة مستندة إلى المعرفة والفهم<sup>2</sup>، فالعلاقات العامة ركيزتها الجمهور ومبنية على المعاملة مع الأفراد وهذا ما يجعلها تحتاج لمعرفة النفس والسلوك لاختيار الأسلوب الأنسب للمعاملة التي تحقق النتائج المطلوبة.

بما أن العلاقات مبنية على معرفة النفس استنادا لعلم النفس اعتمدت هذه الدراسات على ناحيتين:

1- فهم المتعاملين مع المؤسسة.

2- فهم الجماعة ككل، بما فيها من قيم وعادات وتقاليد وأنماط سلوكية ونظم اجتماعية مختلفة. وهذا بهدف تكييف المعاملة بحيث تتلاءم مع شخصيتهم وأطرهم المرجعية عامة، وبهذا يتحقق الهدف من العلاقات العامة والذي يرمي إلى إنجاح عملية التواصل، باحترام شخصية الفرد وباستعمال الأسس والمبادئ النفسية التي تسهل علينا تحديد أهم المكونات الشخصية للفرد من جهة، وتحقيق أفضل النتائج لتواصل الأفراد فيما بينهم<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>-عطوف محمود ياسين، مدخل في علم النفس الاجتماعي، مصدر سبق ذكره ص 208.

<sup>2</sup>-صالح أبو إصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، مصدر سبق ذكره، ص 238.

<sup>3</sup>-مجدي احمد عبد الله، مقدمة في سيكولوجية الاتصال والإعلام، مصدر سبق ذكره، 2008، ص 157.

من أهم النواحي النفسية في العلاقات العامة أن الأخصائيين بها يتعاملون مع الأفراد والجماعات ممن توجد بينهم فروق شاسعة في الشخصيات والقيم والمعايير، التي تتأثر بالوراثة والبيئة. وهذا يحتم على المتخصصين بالعلاقات العامة دراسة سلوك الأفراد والجماعات دراسة علمية، موضوعية، مما يساعدهم على فهم نظام الحوافز ومصادرها. ولا بد للمشتغل بالعلاقات العامة من أن يتحلى بصفات شخصية جيدة قبل البدء بعمله، كمعرفته لمختلف ميادين علم النفس وعلى الأخص الرأي العام، ووظائف العلاقات العامة وأسسها ومبادئها، وتخطيط البرامج ومتابعتها، وسيكولوجية الجماهير والتأثير بها، ويجب أن يكون شخصا ديناميكيا حسن الاطلاع، كثير التكيف مع المواقف المختلفة<sup>1</sup>

من الملاحظ فيما سبق أننا ذكرنا وظائف العلاقات العامة دون ذكر دور أو وظيفة مسير هذه العلاقات، حيث يعتبر دوره مركزي لأنه هو من يتحكم ويوجه رغبات الأفراد وتفكيرهم ويحدد توجهاتهم وفق ما تحدده المؤسسة والعلاقات العامة في كل مجال بحسب ما ينفع المجتمع، فمن غير الممكن أن نجد مؤسسة ربحية لطرف واحد فقط؛ فمثلا تحاول توجيه الرأي العام نحوها؛ تحاول توجيه خدماتها للفرد والمجتمع مثلما نراه الآن في مختلف الجمعيات والمؤسسات التي تحاول تكوين الأفراد في المجالات العلمية والبحثية تكوينا أكاديميا وتتنافس المؤسسات في تقديم الخدمات والمميزات لترتقي بالمؤسسة في إنتاجها وبالمقابل الارتقاء كذلك بالشخص المنتسب اليهم، ويكون الربح أو الفائدة للطرفين، وهذا ما يسعى اليه رجل العلاقات العامة ونستطيع القول أن وظيفته تنحصر في هذه النقاط مع تقديم وتأخير حسب نشاط ومجال كل مؤسسة.

---

<sup>1</sup>-عطوف محمود ياسين، مدخل في علم النفس الاجتماعي، مصدر سبق ذكره، ص 209.

#### 4- وسائل الاتصال ودورها في تغيير الاتجاهات:

يعتبر هيربرت سبنسر من أوائل علماء النفس الذين استخدموا اصطلاح الاتجاهات، فهو الذي قال أن الوصول إلى الأحكام الصحيحة في المسائل المثيرة للجدل يعتمد إلى حد كبير على الاتجاه الذهني للفرد الذي يصغي إلى هذا الجدل أو يشارك فيه.<sup>1</sup> ويرى جوردون ألبورت أن الاتجاه حالة من الاستعداد أو التأهب العصبي والنفسي، تنتظم من خلال خبرة الشخص، وتكون ذات تأثير توجيهي أو دينامي على استجابة الفرد لجميع الموضوعات والمواقف التي تستثير هذه الاستجابة.<sup>2</sup> ويعرف روكيتش Rokeach الاتجاه بأنه تنظيم مكتسب، له صفة الاستمرار النسبي للمعتقدات التي يعتقدونها الفرد نحو موضوع أو موقف، ويهيئه للاستجابة باستجابة تكون لها الأفضلية عنده<sup>3</sup>

والاتجاه عبارة عن إطار مرجعي يزودنا بالمعلومات التي تجعلنا نشعر مع الآخرين أو نتضامن معهم، أو نحصل على دعمهم. ونحن نتعلم اتجاهاتنا من الحياة: من خبراتنا الشخصية ومن تأثير الآخرين علينا كالأسرة والأصدقاء والمدرسة ووسائل الإعلام، ومن ردود فعلنا العاطفية ومن الحياة. ونتعرف على اتجاهات الناس من سلوكهم لأن اتجاهاتهم تؤثر على سلوكهم<sup>4</sup> من خلال التعريفات الماضية يتبين لنا أن الاتجاهات تتكون من عناصر معرفية، وجدانية ونزوعية وأنها قد تكون مكتسبة أو متعلمة.

ويتكون الاتجاه حسب روبرت وليامسن Robert c. Williamson مما يلي:

- الجانب المعرفي والمتمثل في الاعتقادات والحقائق والمعلومات.
- الجانب المعرفي والمتمثل في مشاعر الحب والكراهية.

<sup>1</sup>- أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، المكتب المصري الحديث للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط 11، 1993، ص 66.

<sup>2</sup>- صلاح طلبة، المدخل إلى علم النفس، دار المعارف، القاهرة، ط 6، 1995، ص 35.

<sup>3</sup>- عطوف محمود ياسين، مدخل في علم النفس الاجتماعي، مصدر سبق ذكره، ص 117.

<sup>4</sup>- إبراهيم أبو عرقوب، الاتصال الانساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، مصدر سبق ذكره، ص 46.

- الجانب السلوكي الخاص بالعمل.
- ويتميز الاتجاه بالميل إلى الثبات النسبي والاستقرار والاستمرار لتحقيق التناسب في استجابات الفرد وسلوكه تجاه مثيرات البيئة من حوله، ويتم قياس الاتجاهات عن طريق اختبارات نفسية طويلة تكشف عن الاتجاه وشدته<sup>1</sup>

يتأثر تغير الاتجاه بالتغيرات الكمية أو النوعية في الموضوع، وتتم الاستعانة بالوسائل السالفة الذكر مثل أساليب الإقناع أو التأثير في الفكر أو ما يسمى بنظرية الغرس، وفيما يتعلق بالطرق المستخدمة في تغيير الاتجاهات فيمكن أن نقسمها إلى ثلاث فئات كالآتي:

❖ التعريف بموضوع الاتجاه.

❖ الخبرة المباشرة بموضوع الاتجاه.

❖ قرار الجماعة.

ويمكن أن تدرج تحت هذه الفئات الثلاثة مختلف وسائل الاتصال الجمعي من صحافة وإذاعة وسينما ومكتبات ومحاضرات وندوات، والبرامج التعليمية المختلفة، كما يمكن أن ندرج تحتها مختلف الطرق التي تركز حول الشخصية الفردية، وكذلك الخبرات المباشرة التي تتاح للأفراد ومختلف صور تأثير الجماعة ولعل أهمها الأسلوب المعروف بقرار الجماعة<sup>2</sup> وتعتبر الاتجاهات محددات ضابطة منظمة لسلوك الأفراد والجماعات. وتكون وترتبط طبقاً لمثيرات اجتماعية، ويشترك بها عدد من الأفراد. والاتجاهات لا تتكون من فراغ ولكنها تتضمن دائماً علاقة بين فرد وموضوع من موضوعات البيئة. وتتعدد الاتجاهات حسب المثيرات التي ترتبط بها، ولها خصائص انفعالية، وهي توضح وجود علاقة بين الفرد وموضوع الاتجاه. والاتجاه تتغلب عليه الذاتية أكثر من الموضوعية من حيث محتواه<sup>3</sup>

<sup>1</sup>-مجدي احمد عبد الله، مقدمة في سيكولوجية الاتصال والإعلام، مصدر سبق ذكره، 2008، ص 117.

<sup>2</sup>-مجدي احمد عبد الله، مقدمة في سيكولوجية الاتصال والإعلام، مصدر سبق ذكره، ص 27-28.

<sup>3</sup>-عطوف محمود ياسين، مدخل في علم النفس الاجتماعي، مصدر سبق ذكره ص 119.

وإذا حاولنا أن نربط بين وسائل الاتصال، تغيير الاتجاه وشخصية الفرد نجد أن وسائل الاتصال أداة من أدوات نقل العلم، التراث الثقافي والثقافة بجانبها المادي والمعنوي ويؤثر هذا كله في الشخصية ككل ومنها يؤدي إلى تغيير الاتجاه. وكلما صلحت عملية النقل الثقافي والتنشئة الاجتماعية عبر وسائل الاتصال المختلفة كلما كانت عاملا ايجابيا في تكوين الاتجاهات السوية وتلعب وسائل الاتصال دورا خطيرا في تكوين الاتجاهات من حيث أنها توجه أنظار الجمهور إلى المشكلة التي يتبلور حولها الاتجاه والرأي العام، ويتأثر ذلك بطريقة اختيار ما تقدمه وطريقة تقديمه والتأكيد عليه أو إهماله، ومدى ما يتاح لها من حرية وما يفرض عليها من رقابة<sup>1</sup>؛ رغم كل هذا إلا أن الفرد من الممكن أن يغير اتجاهه لعدة أسباب منها:

✚ للقيام بالأعمال بشكل أفضل أو لإشباع حاجات الفرد الداخلية.

✚ لإرضاء قناعة داخلية إلى حد ما.<sup>2</sup>

نجد أن تأثير وسائل الإعلام على تغيير الاتجاهات يتوقف على نسبة انتشار التعليم بين الناس، فكلما ازدادت هذه النسبة بين الناس، كان بالإمكان أن تتأثر الاتجاهات، وتأثر المناقشات الجماعية التي تتيح حرية التعبير عن الرأي، أو التي تدور حول القضايا العامة، والتي تصل في النهاية إلى قرار جماعي، في تعديل الاتجاهات وتغييرها، حيث يستشعر أفراد الجماعة أن الرأي العام يتبلور من خلالهم، وأنهم غير خاضعين للتأثير الخارجي<sup>3</sup>

وقد أثبتت البحوث العديدة فعالية وسائل الإعلام في خلق اتجاهات جديدة، وتعمل وسائل الإعلام على تدعيم الاتجاهات والقيم أكثر من تغييرها، حيث أن وسائل الإعلام تقضل التعبير عن آراء مقبولة من الأغلبية والتعبير عن أنماط الاتجاهات والسلوك الطبيعية في

<sup>1</sup>-مجدي احمد عبد الله، مقدمة في سيكولوجية الاتصال والإعلام، مصدر سبق ذكره، ص 120.

<sup>2</sup>-إبراهيم أبو عرقوب، الاتصال الانساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، مصدر سبق ذكره ص 47.

<sup>3</sup>-مجدي احمد عبد الله، مقدمة في سيكولوجية الاتصال والإعلام، مصدر سبق ذكره، ص 119.

المجتمع وهذا يؤدي إلى الانسجام الاجتماعي وإضعاف الفردية، وتقليل التسامح في الاختلافات، وتعتمد وسائل الإعلام على جعل الأفراد والجماعات والأشياء والأفكار مهمة، وذلك ببساطة عن طريق اختيارها لتكون موضعاً للانتباه أو الملاحظة<sup>1</sup> والسؤال المطروح بعد النقاط الماضية مفاده: هل الاتجاهات النفسية قابلة للتغيير؟

الإجابة نعم؛ تعتبر الاتجاهات النفسية قابلة للتغيير رغم أنها تتميز بالثبات النسبي ولها صفة الاستمرار النسبي، وهناك فرق بين عملية تغيير الاتجاهات المقصودة، وعملية تغيير الاتجاهات تلقائياً نتيجة لما يؤثر عليها في الحياة العادية مثل تأثير الأغلبية وتأثير الإيحاء.<sup>2</sup> وأوجز العلماء الوظائف الأساسية للاتجاهات -في إطار عملية التواصل- فيما يلي:

-الاتجاه ينظم العمليات الدافعية والانفعالية والإدراكية والمعرفية حول بعض النواحي الموجودة في المجال الذي يعيش فيه الفرد.

-الاتجاه يوجه استجابات الفرد للأشخاص والأشياء والموضوعات بطريقة شبه ثابتة.

-الاتجاهات تنعكس في سلوك الفرد وفي أقواله وأفعاله وتفاعله مع الآخرين.

الاتجاهات تبلور وتوضح صورة العلاقة بين الفرد وبين عالمه الاجتماعي.

-الاتجاهات تيسر للفرد القدرة على السلوك واتخاذ القرارات في المواقف النفسية

الاتجاه يحمل الفرد على أن يحس ويدرك ويفكر بطريقة محددة إزاء موضوعات البيئة الخارجية<sup>3</sup>

ومن الناحية النظرية فإن تغيير الاتجاهات يتطلب زيادة المؤثرات المؤيدة للاتجاه الجديد

<sup>1</sup>- صالح أبو إصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، مصدر سبق ذكره، ص 119.

<sup>2</sup>-مجدي احمد عبد الله، مقدمة في سيكولوجية الاتصال والإعلام، مصدر سبق ذكره، ص125-126.

<sup>3</sup>-عطوف محمود ياسين، مدخل في علم النفس الاجتماعي، مصدر سبق ذكره ص120-121.

وخفض المؤثرات المضادة له أو الأمرين معا. أما إذا تساوت المؤثرات المؤيدة للتغيير والمؤثرات المضادة له فإنه يحدث حالة من التوازن وثبات الاتجاه وعدم تغييره.<sup>1</sup>

ومن المؤكد أن تغيير الاتجاه صعب، وليس سهلا كما يبدو من خلال ما أوردناه سابقا، ومن العوامل التي تزيد من صعوبة تغيير الاتجاه نذكر:

✚ قوة الاتجاه القديم ورسوخه.

✚ وضوح معالم الاتجاه.

✚ المحاولات الفردية في تغيير الاتجاه؛ ذلك مما يجعل الامر صعبا فلو كانت

المحاولات جماعية كان أفضل.

✚ اتباع السبل الواهية والبسيطة مثل المحاضرات.

✚ الخوف من الخوض في اتجاه جديد غير واضح المعالم.

لكن رغم هذه الصعوبات المذكورة وغيرها، توجد عوامل تجعل تغيير الاتجاه سهلا منها:

✚ ضعف الاتجاه النفسي.

✚ وجود اتجاهات أخرى مساوية لها في القوة.

✚ عدم وضوح الاتجاه الأول.

✚ عدم وجود مؤثرات مضادة.

✚ سطحية أو هامشية الاتجاه مثل الاتجاهات التي تتكون في الجماعات الثانوية.

---

<sup>1</sup>-مجدي احمد عبد الله، مقدمة في سيكولوجية الاتصال والإعلام، مصدر سبق ذكره، ص 126.

ومن خلال العوامل السهلة والصعبة نستطيع أن نستنتج أن السهولة والصعوبة قد تكون وفق رغبة الانسان؛ فعندما يكون الانسان صاحب رغبة في التغيير لأسباب قوية يسهل عليه ذلك والعكس، فالمؤثرات الخارجية غالبا ما تخضع لإرادة الانسان وكثيرا ما تكون عكسية فتصعب عليه الأمر.

وقد يكون تغيير الاتجاه تابع لتغيير المعلومات السابقة؛ فإذا تم معلومات رئيسية ومركزية وقد تأتي معاكسة للسابقة سيتم تغيير الاتجاه تلقائيا دون أي جهد من الفرد أو الجماعة.

## المطلب الرابع: مفهوم التواصل معرفيا وفلسفيا.

بعدما تعرفنا على التواصل النفسي والسلوكي؛ سنتطرق إلى معاني أخرى للتواصل مثل التواصل المعرفي والفلسفي، اللذين يلعبان دورا مهما في العملية التواصلية ككل، فالمعرفة لوحدها جزء كبير من الحياة بصفة عامة لكنها تبقى مادة خام إذا لم يتم ايصالها عن طريق التواصل والاتصال، فالتواصل المعرفي وعي بالعلوم بمختلف أشكالها وانتماءاتها، وهنا يبدأ دور العملية التواصلية في المجال المعرفي، ونفس الأمر بالنسبة للتواصل الفلسفي، الذي يركز على الفهم الكائن في الأنا والآخر وطريقة ممارسته للوصول إلى حقيقة الأشياء، ولنتعرف أكثر على المعاني الحقيقية أو التقريبية للتواصل المعرفي والفلسفي نتطرق إلى بعض التعريفات.

نبدأ بالفيلسوف وعالم الاجتماع الألماني يورغن هابرماس الذي يرى في سياق تفسيره هذا التحقق الذي يجب أن يتجسد في كل المجالات، وهو ما نلمسه في قول أوغست كونت « إن المسألة تدور حول النفوذ الفعلي للإنسان في العالم الخارجي، حيث يشكل تطوره المتواصل، دون شك، واحدا من الجوانب الرئيسية للتطور الاجتماعي، نعم حتى أنه يمكن للمرء أن يقول، بأنه لولا انطلاقة الإنسان لما كان لهذا التطور كله من وجود في مجالات التقدم السياسي، والأخلاقي، والعقلي، للإنسانية؛ كل ذلك مرتبط حتما بتقدمها المادي، لذلك، فإنه من الواضح أن تأثير الإنسان في الطبيعة، يرتبط أساسا بمعارفه المختلفة فيما يخص القوانين الفعلية للظواهر اللاعضوية».

- وفي هذا الإطار أيضا، تطرح مسألة استقبال المعلومة من طرف المتلقي الذي لا يمكن اعتباره سلبيًا بآية حال، فهو يقوم بفك رموز الرسالة وتحليلها وتأويلها. بحيث تتحكم في ممارسته هاته مجموعة عوامل منها: مرجعيته الثقافية وحمولته المعرفية والمسافة القائمة بين مستواه الثقافي والمستوى المطلوب لفهم المعلومة. وهذا هو المقصود من مفهوم غربله المعلومات من طرف المتلقي الذي ينعكس انتماءه الثقافي على مواقفه وردود أفعاله<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> – Jean-François Dortier, **Le mystère de la communication**, Revue des sciences humaines –hors- série, n°16 mars-avril 1997, p8.

وقد دفع هذا الوضع بالباحث أليكس مكييلي A.Mucchielli إلى تحديد مجموعة من الرهانات المطروحة على العملية التواصلية وهي: الرهان الإعلامي، رهان التوقيع، رهان التأثير، الرهان العلائقي والرهان المعياري<sup>1</sup>.

### أولاً: نظرية التواصل في التراث العربي.

باعتبار التواصل فطرة إنسانية يصبح سهلاً علينا أن نتعلم أنه وجد في التراث الغربي والتراث العربي القديم كذلك، وقد اهتم به العرب خاصة وأن العرب أصحاب لغة واهتمامهم باللغة جعلهم يهتمون تلقائياً بالتواصل، وكلما كانت اللغة سليمة كان التواصل أرقى، وهذا جعلهم يُنظِّرون ويُقَعِّدون ويضعون لها أركاناً وأهدافاً ووصلوا لتحديد التواصل حسب الطبقات الاجتماعية والألفاظ، وذلك ما أورده الجاحظ وهو من أكبر رواد التواصل في التراث العربي.

يُعتبر الجاحظ من أبرز العلماء العرب الذين فصَّلوا القول في نظرية التواصل، من خلال إثارة مجموعة من القضايا كانت بمثابة أرض خصبة لظهور عدة أبحاث في هذا المجال، ويشير حمادي صمود في كتابه (التفكير البلاغي عند العرب: أسسه وتطوره) إلى أن اللغويين العرب يؤمنون بأن مكونات التواصل ثلاثة، هي: المتكلم، والمخاطب، والكلام، والرابط بين هذه الأطراف هي الوظائف الثلاثة: الوظيفة الإفهامية، والوظيفة الخطابية، والوظيفة الشعرية<sup>2</sup>.

انطلاقاً من هذه المقولة نستنتج وجود العناصر التواصلية على شكل ثلاثة أطراف، وهي: المتكلم أو المرسل للرسالة التواصلية، والمخاطب أو مُتلقٍ ومستقبل هذه الرسالة، إضافة إلى الموضوع، وهو الرسالة المنقولة من المرسل إلى المخاطب؛ إما لوظيفة إفهامية أو خطابية أو شعرية، وقد أكد الجاحظ أن الوظيفة الإفهامية قائمة على الفهم والإفهام كشرط أساسي لكل خطاب لغوي، وهو ما نلمسه في قوله: «وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل، يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع (...)»، والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى

<sup>1</sup>– A.Mucchielli, *Psychologie de la communication*, PUF, Paris, 1995.

<sup>2</sup>– محمد إسماعيلي العلوي، *التواصل الإنساني*، دار كنوز المعرفة العلمية، ط 1، 2014، ص 24.

(...)؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع»<sup>1</sup>

وبذلك حدد الجاحظ أدوات البيان وقسمها إلى خمس وهي:

❖ اللفظة.

❖ الإشارة.

❖ الخطاب.

❖ مراعاة المستوى.

❖ اختلاف اللغة باختلاف طبقات المجتمع.

وبناء على هذا التقسيم أسس الكثير من الباحثين نظرياتهم في التواصل، ومن التقسيمات المشهورة نجد التقسيم الخماسي التالي:

- **القائل:** وهو يقابل المتصل القائم بالاتصال (المرسل): وترتكز دورة الكلام على الذات المرسلّة التي تحدّد نوعية التواصل<sup>2</sup>.
- **السامع:** وهو يقابل المتلقي (المستقبل).
- كل شيء كشف لك القناع، وهو يقابل الرسالة.
- الدليل أو أصناف الدلالات على المعاني من لفظ أو غير لفظ، وهو يقابل الوسيلة.
- الغاية التي يجري إليها القائل (الفهم والإفهام)، وهي تقابل التأثير<sup>3</sup>.

رغم أن الكثير من العلماء قديماً حاولوا التأسيس لنظريات في التواصل إلا أن الظروف لم تسمح لهم بالوصول بها لبلورتها والوصول بها للظهور كنظرية كاملة كما يحدث اليوم مع الغرب.

<sup>1</sup> - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **البيان والتبيين**، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ص 42-43.

<sup>2</sup> - عمر أوكان؛ **اللغة والخطاب؛ رؤية للنشر والتوزيع**، القاهرة، ط 1، 2011، ص 61.

<sup>3</sup> - محمد إسماعيلي العلوي، **التواصل الإنساني**، مصدر سبق ذكره، ص: 25.

لقد أشار كثيرٌ من الباحثين العرب إلى نظرية التواصل من خلال مجموعة من الإشارات، إلا أنها لم ترتقِ إلى مستوى النظرية العلمية، كما نجدها عند كثير من علماء الغرب المعاصرين، بقدر ما كانت إشارات تأتي في سياقات مختلفة، وفي ظل علوم متنوعة، والسبب في ذلك راجعٌ إلى عدم مواكبة هذا النضج الذي كانت عليه الأمة في ذلك الوقت، فالعلماء الأجلاء رحمهم الله أحاطوا بكامل العلوم بشكل كليٍّ، ليبقى للباحث دور التفصيل والتدقيق، وهو الأمر الذي لم يكن؛ للظروف السياسية التي شهدتها تاريخ الأمة الإسلامية.

### ثانياً: لغة الجسد في التراث العربي.

حينما أشار الجاحظ إلى قضية التواصل كما أسلفنا، ركّز على الإشارة باعتبارها شريكة اللفظ في إبلاغ الرسالة التواصلية، ومن ثم فهي جزء مهمٌ من نظرية التواصل كما نظر إليها رحمه الله تعالى، والتواصل في النظريات الحديثة ينقسم إلى شقين كبيرين كما بيّنا في المبحث الأول (هل اللغة أصوات؟)، وضمن الشق الخاص بالتواصل غير اللفظي يندرج علم لغة الجسد، الذي عرف انتشاراً كبيراً في السنوات الأخير؛ نظراً لارتباطه بمجموعة من المجالات، منها السياسية والاقتصادية والفكرية وغيرها.

وعلم لغة الجسد لم يكن وليد اللسانيات الحديثة؛ وإنما سمي بالفراسة عند العربي، والدارس لتاريخ العرب سوف يقف عند هذه الحقيقة التي مفادها أن العرب قد برعوا فيه منذ أقدم العصور، إلى درجة أنهم يعرفون من أين قدم الشخص فقط من خلال لباسه ووجهه وحركاته، ويعرفون أهو من سكان المدينة أم البادية؟ وقد عرّف البعض الفراسة بأنها فكرةٌ تقفز إلى الوعي فجأة، فينبئ صاحبها بشيء لم يصل إلى فهم وإدراك غيره، وهي قد تكون فطريةً أو مكتسبةً.<sup>1</sup>

وذهب البعض إلى أن أرسطو هو أول من كتب فيه، وبرع فيه من بعده العرب والمسلمون، وعلى رأسهم نجد الجاحظ؛ حيث أشار إلى دور الإشارة فيما نتلفّظ به، وقد سبق أن أشرنا إلى

<sup>1</sup> - أحمد بهيج؛ الفراسة: كيف تقرأ الناس عن بُعد؛ مكتبة الهلال للنشر والتوزيع ص: 50.

مجهودات هؤلاء الأفاضل فيما ذكرناه سالفًا في محور التواصل، يقول الجاحظ: «الإشارة واللفظ شريكان، ونعمّ العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغني عن الخط<sup>1</sup>»

كما أشار أيضًا إلى دور بعض الإشارات في إبلاغ الرسالة التواصلية، وأنها أبلغ من الكلمات؛ حيث يقول: «حُسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان، مع الذي يكون مع الإشارة من الدال والشكل والتقتل والتثني، واستدعاء الشهوة، وغير ذلك من الأمور»<sup>2</sup>

فالملاحظ أن الجاحظ رغم بعد الزمن الذي وجد فيه إلا أنه أدرك أن الإشارة والحركة لهما أهمية بالغة في التواصل وإيصال الرسائل، وذلك ما ذكره في كتابه التربيع والتدوير وهو كتاب يهجو فيه غريمه فيصفه بأوصاف تجعل القارئ يصل بخياله أن يرسم الشخص بعد جمع الصفات والمواصفات، وهذا ليس الا طريقة تواصل ذكية وغير مباشرة؛ والكتاب يتحدث عن لغة الجسد بوصفه لطريقة الجلوس والعبرة من الإشارة وغير ذلك فقال مثلا في وصف غريمه: «أخمص البطن، معتدل القامة، تام العظم، وكان طويل الظهر، قصير عظم الفخذ، وهو مع قصر ساقه يدعي أنه طويل الباد، رفيع العماد، عادي القامة، عظيم الهامة، قد أعطي البسيط في الجسم، والسعة في العلم، وكان كبير السن متقادم الميلاد، وهو يدعي أنه معتدل الشباب حديث الميلاد»<sup>3</sup>.؛ فليس غريبا أن هذا الكلام لو تأمله باحث ذكي لأسس منه لنظرية في التواصل.

<sup>1</sup>- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ؛ البيان والتبيين، مصدر سبق ذكره، ص: 43.

<sup>2</sup>-(المرجع نفسه)، ص: 45.

<sup>3</sup>- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، ط 10، ص 179.

ثالثاً: نظريات التواصل:

### 1-تعريف النظرية.

النظرية في علوم الإعلام والاتصال.

إن النظرية في ابسط مفاهيمها تعني تلك:

- الخطة العقلية التي يتم التأكد من صحتها بالملاحظة والتجربة.
- المعارف التي تكون في مجموعها جملة من الحقائق.
- الشرح المقترح أو الفروض التي صممت فعليا لتفسير ظاهرة معينة .

كما أن النظرية هي مجموع افتراضات بعضها ببعض، تقدم وجهة نظر منتظمة حول ظاهرة معينة من خلال شرح العلاقة ما بين المفاهيم والأفكار المتعلقة بهذه المظاهر.<sup>1</sup>

والنظرية ماهي إلا محاولة لتفسير تفاعلاتنا مع الآخرين في سياق الحياة اليومية، فإننا حالما نشعر في التفكير في شيء محدد ونسعى إلى إيجاد تفسير له فإننا نكون بصدد التفكير النظر فيه، خاصة إذا كنا لا نملك القدرة على التحكم فيه ولما كانت النظرية تقوم بتفسير أي شيء وتساعد في حل أي مشكلة فإن هذا التفسير أو التدخل في الحل يستند إلى الخبرات التي تتجمع حول وقائع وحدات الحياة اليومية وهو ما يعني أداة لتنظيم الأفكار فكما تحمله من خطاب، وذلك يجعل التفكير أمرا صعبا دوننا لاستناد إلى نظرية محددة.<sup>2</sup>

وهنا كمن يرى أن النظرية لابد أن تتضمن الاشتراطات التالية:

- أن تأتي بمفهوم انتعبر عن قضايا محددة تحديدا دقيقا.
- أن تتناغم وتتناسق القضايا التي تحويها النظرية مع بعضها البعض.
- أن تساهم في اشتقاق تعميمات معينة بطريقة استنباطية.

<sup>1</sup>-مي العبدالله، نظريات الاتصال، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، ط1، 2006،ص 14.

<sup>2</sup>-شحاتة صيام، النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية إلى ما بعد الحداثة، دار مصر العربية للنشر والطباعة، مصر، ط1، 2009،ص14.

- أن تأتي قضايا أي نظرية من خلال آليات الاستقراء المضبوطة تلك التي عن طريقها يتماست خلاص المعارف والحقائق الاجتماعية.
- أن تخضع للاختبار والمراجعة حتى يتم التأكد من صدق استنتاجاتها أو افتراضاتها ومن تساوي في اكتشاف وقائع جديدة أو الوصول إلى تعميمات أخرى.<sup>1</sup>

وحسب ذلك فإن Gibbs يرى أن النظرية عبارة عن مجموعة من القضايا التي ترتبط ارتباطا منطقيا فيما بينها في صورة تأكيدات امبريقية تتعلق بخصائص مجموعة من الأحداث... إنها توجه النظر إلى عدد من الخصائص المشتركة فيما بينها مبنية على التحديد والمنطقية القائمة على العلاقات التفسيرية.<sup>2</sup>

تختلف التعريفات في شأن المفهوم لكن في المجمل يتفق الباحثون على أن النظرية تهدف إلى الوصول لاستنتاجات علمية تصف علاقات وظيفية بين متغيرات يتم قياسها واستقراؤها ويسبقها في ذلك جملة فروض علمية يضعها الباحث لمعرفة العلاقة بين تلك المتغيرات البحثية أي بهدف الوصف أو التنبؤ أو التحكم في الظاهرة المدروسة.<sup>3</sup>

يعتبر التنظير في علوم الإعلام والاتصال فقيرا جدا مقارنة بغيره من العلوم، ويستند أكثر في تفسيره للظواهر على نظريات علم الاجتماع، علم النفس الاجتماعي... مع بعض الاجتهادات التي مست المجال من قبل الباحثين من علوم مختلفة وحتى متخصصين ومهتمين بوسائل الإعلام وتأثيراتها والظواهر المرتبطة بها وبالتالي أسس العلم انطلاقا من النظريات التي فيها ما فيها من قدرة إسقاط وفهم وتوضيح، وعليها ما عليها من قصور، ويشار إلى أن أغلب هذه الاجتهادات هي غربية بحتة تنطلق من بيئة ثقافية واجتماعية

<sup>1</sup>- علي الحلبي، الاتجاهات الأساسية في نظرية علم الاجتماع، ط1، دارالمعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1991، ص25.

<sup>2</sup>-شحاتة صيام، النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية إلى ما بعد الحداثة، مرجع سبق ذكره، ص 16.

<sup>3</sup>-مي العبد الله، نظريات الاتصال، مرجع سبق ذكره، ص 15.

مختلفة عن بقية المجتمعات خاصة العربية منها التي تتعامل مع هذه النظريات كسرا لإسقاطها على ظواهر قد لا يتفق منطلقها ونتائجها مع خصوصية هذه المجتمعات وسبب ذلك هو قلة الاجتهاد لابتكار نظريات خاصة تكون لها قدرة التفسير أكثر من غيرها.

في الوقت ذاته لا ننفي وجود بعض الاجتهاد على مستوى العالم العربي مثال ذلك فكرة من أفكار القرن الواحد والعشرين وهي التي جاء بها المفكر الجزائري عزي عبد الرحمن في نظرية الحتمية القيمة في الإعلام التي سنعمد لاحقا إلى تمثي لكيفية توظيفها في البحوث المتعلقة بعلوم الإعلام والاتصال نظرا لمنطلقها الاجتماعي والثقافي المشترك في العالم العربي.

انطلاقا؛ من فكرة أن علم الإعلام والاتصال يفتقر إلى التنظير فيه فقد لخص الباحث محمد بنسعود البشر وهو باحث بقسم الإعلام جامعة الإمام محمد بنسعود الإسلامية، نقلا عن بيرجر berger أسباب عدم وجود نظرية محددة في هذا العلم في ما يلي:<sup>1</sup>

❖ عوامل تاريخية مرتبطة أساسا بمن كانوا يبحثون في البدء ضمن مجال الإعلام والاتصال والذين ينتمون لتخصصات كعلم الاجتماع، علم النفس، علم النفس الاجتماعي وبالتالي اتخذ من أدبيات هذه العلوم مرتكزا أساسيا وعاملا فاعلا في تطور هذا العلم ما أدى إلى أن يسود الاعتقاد لدى طلبة الدراسات العليا أن فهم هذا الأخير لا يتم بمعزل عن العلوم الأخرى وأدبياتها، إضافة إلى غياب المتخصصين فعليا في التدريس وإن وجدوا يكونوا مهنيين أكثر منهم باحثين ومفكرين.

❖ عوامل منهجية مرتبطة من جهة بتمكن الباحثين والطلاب من أساسيات وتقنيات وأساليب الإحصاء دون محاولة فتح مجال أو أفق للتنظير خوفا من الدخول في مشكلة التفكير خارج أسراب العلوم الأخرى، ومن جهة أخرى المواد العلمية المقترحة

---

<sup>1</sup>-محمد بن سعود البشر، قصور النظرية في الدراسات الإعلامية، دراسة منشورة بالمجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد 83، صيف 2003، ص 15-24.

في التدريس أغلبها مهنية أو تطبيقية بعيدة كل البعد عن كيفية بناء نظرية إعلامية وتطويرها.

❖ عامل الخوف من المسؤولية كون أن الدخول في مجال التنظير يعد مغامرة علمية كبيرة سواء على مستوى فكرة النظرية انطلاقا من طرحها إلى تطبيقها إلى تأكيدها أو على مستوى المحيطين بمن يفكر أو يسعى للتنظير لأنه سيجد صعوبة كبيرة في القبول الأكاديمي بحكم عوامل نفسية معينة ما قد يؤدي حتى إلى حدود النبذ ما أصاب الكثيرين بالفشل قبل البدء وهذا يعد عائقا كبيرا في مجال التنظير في علوم الإعلام والاتصال.

## رابعاً: نماذج التواصل.

وكما تعددت الألسن؛ تعددت النظريات التي حاولت فهم التواصل الذي كانت ركيزته على التراث العربي أو الغربي، ما شجع على ظهور مقاربات في فهم نظام التواصل، وكثرة هذه المقاربات والنظريات جعل من الصعب حصرها ولا استقراءها فيكفينا ذكر بعض النماذج فقط.

### 1-النموذج السلوكي:

وضعه المحلل النفسي الأمريكي لازويل Lasswell D. Harold سنة 1948 ويتضمن مايلي:  
من؟ (المرسل) — يقول ماذا؟ (الرسالة) — بأية وسيلة؟ (وسيط) — لمن؟ (المتلقي) — ولأي تأثير (أثر)

يرتكز هذا النموذج على خمسة عناصر، وهي:

المرسل . الرسالة-القناة-المتلقي-الأثر .

ويمكن إدراج هذا النموذج ضمن المنظور السلوكي الذي انتشر كثيرا في الولايات المتحدة الأمريكية، ويقوم على ثنائية المثير والاستجابة. ويتمظهر هذا المنظور عندما يركز لازويل على الوظيفة التأثيرية، أي التأثير على المرسل إليه من أجل تغيير سلوكه إيجابا وسلبا. ومن سلبيات هذا النظام أنه يجعل المتقبل سلبيا في استهلاكه، ومنظوره سلطوي في استعمال وسائل التأثير الإشهاري في جذب المتلقي والتأثير عليه في صالح المرسل.

وللتمثيل: فالمدرس هو المرسل، والتلميذ هو المتلقي، والرسالة ما يقوله المدرس من معرفة وتجربة، ثم الوسيط الذي يتمثل في القنوات اللغوية وغير اللغوية، والأثر هو تلك الأهداف التي ينوي المدرس تحقيقها عبر تأثيره في التلميذ.

### 2-النموذج الرياضي:

وضعه المهندس كلود شانون Claude Shannon سنة 1949 والفيلسوف وارين Waren

Weaver. ويركز على المكونات التالية:

مرسل — ترميز — رسالة — فك الترميز — متلقي

يعتمد هذا النظام التواصلي على عملية الترميز أو التشفير، فالمرسل هو الذي يمكن أن يتمص دوره المدرس حيث يرسل رسالة معرفية وتربوية مسننة بلغة وقواعد ذات معايير قياسية أو سماعية يتفق عليها المرسل والمرسل إليه الذي يتمثل في التلميذ أو الطالب. فالمدرس يرسل خطابه التربوي عبر قناة لغوية أو شبه لغوية أو غير لغوية نحو التلميذ/ الطالب الذي يتلقى الرسالة ثم يفك شفرتها ليفهم رموزها عن طريق تأويلها واستضمار قواعدها.

يهدف هذا النموذج إلى فهم الإرسال التلغرافي وذلك بفهم عملية الإرسال من نقطة A إلى B بوضوح دقيق دون إحداث أي انقطاع أو خلل في الإرسال بسبب التشويش. ويتلخص مبدأ هذا النظام بكل بساطة في: « يرسل مرسل شفرته المسننة إلى متلق يفك تلك الشفرة». ومن ثغرات هذا النظام الخطي أنه لا يطبق في كل وضعيات التواصل، خاصة إذا تعدد المستقلون، وانعدم الفهم الاجتماعي والسيكولوجي أثناء التفاعل التواصلي بين الذوات المفكرة. كما يبقى المتقبل سلبيا في تسلمه للرسائل المشفرة.

### 3-النموذج الاجتماعي:

هو نموذج ريلي وريلي Riley & Riley الذي يعتمد على فهم طريقة انتماء الأفراد إلى الجماعات. فالمرسل هو المعتمد والمستقبل هم الذين يودعون في جماعات أولية اجتماعية مثل العائلات والتجمعات والجماعات الصغيرة...

وهؤلاء الأفراد يتأثرون ويفكرون ويحكمون ويرون الأشياء بمنظار الجماعات التي ينتمون إليها والتي بدورها تتطور في حضان السياق الاجتماعي الذي أفرزها. ويلاحظ أن هذا النموذج ينتمي إلى علم الاجتماع ولاسيما إلى علم النفس الاجتماعي حيث يرصد مختلف العلاقات النفسية والاجتماعية بين المتواصلين داخل السياق الاجتماعي. وهذا ما يجعل هذا النظام يساهم

في تأسيس علم تواصل الجماعة. la communication de groupe.

ومن المفاهيم التواصلية المهمة داخل هذا النظام نجد مفهوم السياق الاجتماعي والانتماء إلى الجماعة.

#### 4-النموذج اللساني:

يعد رومان جاكبسون Roman Jakobson واضع هذا النموذج سنة 1964, إذ اعتبر أن اللغة وظيفتها الأساسية هي التواصل، وارتأى أن للغة ستة عناصر وهي: المرسل والرسالة والمرسل عليه والقناة والمرجع واللغة. ولكل عنصر وظيفة خاصة: فالمرسل وظيفته انفعالية تعبيرية، والرسالة وظيفتها جمالية من خلال إسقاط محور الاستبدال على محور التركيب، والمرسل إليه وظيفته تأثيرية وانتباهية، والقناة وظيفتها حفاظية، والمرجع وظيفته مرجعية أو موضوعية، واللغة أو السنن وظيفتها (ه) لغوية أو وصفية؛ وهناك من يضيف الوظيفة السابعة للخطاب اللساني وهي الوظيفة الأيقونية بعد ظهور كتابات جاك دريدا J. Derrida والسيميوطيقا.

ولتوضيح مفاهيم جاكبسون أكثر نعود إلى المجال التربوي والديداكتيكي للتمثيل والشرح؛ قلنا سابقا أن من وظائف التواصل لدى رومان جاكبسون:

📌 **الوظيفة المرجعية:** يلتجئ المدرس هنا إلى الواقع أو المرجع لينقل للتلميذ أو الطالب معلومات وأخبارا تحيل على الواقع، أي تهيمن هنا المعارف الخارجية والمعارف التقريرية المرتبطة بمراجع وسجلات كالمراجع التاريخي والمرجع الأدبي والمرجع اللساني والمرجع الجغرافي...

📌 **الوظيفة التعبيرية:** تتدخل في هذه الوظيفة ذات المرسل وذلك من خلال انفعالاته وتعابيره الذاتية ومواقفه وميولاته الشخصية والإيديولوجية.

📌 **الوظيفة التأثيرية:** تنصب على المتلقي، ويهدف المرسل من ورائها إلى التأثير على مواقف أو سلوكيات وأفكار المرسل إليه؛ لذلك يستعمل المدرس لغة الترغيب والترهيب والترشيد من أجل تغيير سلوك المتعلم.

✚ **الوظيفة الشعرية أو الجمالية:** إن الهدف من عملية التواصل هو البحث عما يجعل من الرسالة رسالة شعرية أو أجناسية جمالية، وذلك بالبحث عن الخصائص الشعرية والجمالية مثل التركيز على جمالية القصيدة الشعرية ومكوناتها الإنشائية والشكلانية.

✚ **الوظيفة الحفظية:** إن التركيز على القناة فذلك لوظيفة حافظة وإفهامية كأن يستعمل المدرس خطابا شبه لغوي أو لغوي أو حركي من أجل تمديد التواصل واستمراره بين المدرس والتلاميذ/ الطلبة، وذلك باستعمال بعض المركبات التعبيرية التالية: ( أرجوكم أن تنتبهوا إلى الدرس!)، ( انظروا هل فهمتم؟)، ( اسمع أنت!) الخ

✚ **الوظيفة الميتالغوية أو الوصفية:** يركز المدرس عبر هذه الوظيفة على شرح المصطلحات والمفاهيم الصعبة والشفرة المستعملة مثل شرح قواعد اللغة والكلمات الغامضة الموجودة في النص والمفاهيم النقدية الموظفة أثناء الشرح.

وقد تأثر جاكبسون في هذه الخطاطة التواصلية بأعمال فرديناند دوسوسير Ferdinand. De Saussure والفيلسوف المنطقي اللغوي جون أوسطين John L. Austin.

## 5- النموذج الإعلامي:

هذا النموذج الإعلامي قائم على توظيف التقنيات الإعلامية الجديدة كالحاسوب والإنترنت والذاكرة المنطقية المركزية في الحاسوب. ومن مرتكزات هذا النموذج:

1- خطوة الاتصال وخلق العلاقة الترابطية.

2- خطوة إرسال الرسائل.

3- خطوة الإغلاق.

خامسا: العلوم المرتبطة بالتواصل.

يرتبط التواصل بعدة علوم ومعارف يمكن حصرها في المسالك المعرفية التالية:

1. علم التدبير والتسيير.
2. العلاقات العامة.
3. التربية العامة والخاصة.
4. علم التسويق أو الماركتين.
5. الشبكة الإعلامية وتقنيات التواصل.
6. تواصل الأزمة في ميدان تسيير التواصل أثناء الأزمة.
7. نظريات الإخبار والإعلام.
8. السيميولوجيا.

# الفصل الثاني:

التواصل في الفلسفة المعاصرة

المجال العام-أنموذجا-

# المبحث الأول:

فلسفة التواصل في مدرسة فرنكفورت.

## تمهيد:

تعتبر مدرسة فرنكفورت من أهم المدارس الفلسفية قديما وحديثا، ولعل ما جعلها تستمر في قوتها: العوامل التاريخية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي نشأت فيها وكذلك تحكم الرأسمالية في ألمانيا والايديولوجيات التي كانت سائدة في بداياتها جعلت لها ركيزة قوية وقوة فكرية وفلسفة علمية تستطيع ان تفرض بها هيمنتها الفكرية على العالم، فكانت لهذه المدرسة مجالات فكرية عديدة وروادا كثر من الجيل الأول أو الثاني، ولكن ما يعنينا في الموضوع هو ارتباط المدرسة بفلسفة التواصل وذلك يظهر جيدا في تأليف هابرماس وهو أحد رواد المدرسة في العصر الحديث لكتاب ضخم من مجلدين بعنوان: **نظرية الفعل التواصلي.**

إن هابرماس ينتصر للنظرية الاجتماعية على حساب فلسفة الوعي إذ ثمة فرق بين تناول التواصل من منظور الفاعل للتواصل، وبين تناوله كما لو كان فعل حوار او تحاور تتدخل فيه أطراف متعددة<sup>1</sup>

بهذا الخصوص يعترف هابرماس بفضل علماء الاجتماع في بلورة هذا المنظور الجديد للتواصل قائلا: ان تحول المنظور الذي انتقل من الفعل الغائي إلى الفعل التواصلي بدأ مع ميد ودوركايم؛ فهؤلاء إلى جانب ماكس فيبر ينتمون إلى جيل المؤسسين للسوسيولوجيا الحديثة.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> -مانفريد فرانك، **حدود التواصل**، تر: عز العرب الحكيم بناني، الدار البيضاء، 2002، ص 15

<sup>2</sup> - J.Habermas, **Théorie de l'agir communicationnel**, rad .JM. Ferry, Paris, 1987, T.1, p.9

يحدد هابرماس الأفعال التواصلية على النحو التالي: «هي تلك الأفعال التي تكون فيها مستويات الفعل بالنسبة للفاعلين المنتمين إلى العملية التواصلية غير مرتبطة باجبات السياسة، بل مرتبطة بأفعال التقاهم».<sup>1</sup>

«إن نشاط التقاهم المتبادل يخضع لشرط اساس به يحقق المعنيون مشروعاً لاتقاهم المشترك، فهم يسعون لتقادي خطرين : يتمثل أولهما في فشل التقاهم المتبادل و سوء الفهم؛ بينما يتمثل الثاني في فشل مشروع الفعل والاختفاق التام، فتنحية الخطر الاول شرط لا بد منه لتلافي الثاني».<sup>2</sup>

اعتقد هابرماس أنّ الفلسفة المطلقة كانت تشكل عائقاً أمام تطور العقلانية حين تصورت أنها تملك الحقيقة والعقلانية التي يريدها هابرماس في المجتمع المعاصر؛ مجتمع ما بعد الحرب العالمية الثانية ليست عقلانية مطلقة، تدعى الفلسفة بناءها لوحدها بل عقلانية تواصلية نقدية إجرائية مندمجة في العالم المعيش ولتوسيع هامش هذه العقلانية الجديدة وبلورتها، انتقد الاتجاهات الوضعانية الجديدة المعجبة بالعلم إلى حد تأليهه وهو ما خصص له كتابين هما:

✚ العلم والتقنية كايديولوجيا.

✚ المعرفة والمصلحة.<sup>3</sup>

إن المدخل إلى فلسفة التواصل لدى هابرماس هو نقد فلسفة الذاتية، وهو نقد اتخذ طابعاً راديكالياً حينما انفتح على رؤوس الفلسفة التحليلية أمثال فتغنشتين واوستين وسورل... فقد

---

<sup>1</sup>-المصدر نفسه، ص 10

<sup>2</sup>-J.Habermas, **Theorie de l'agir communicationnel**,Ibid, p.417.

<sup>3</sup>- J.Habermas, **La science et la technique comme ideologie**, Trad .J .Ladmiral, Paris, 1973

اعتبر أن التقليد الديكارتي طبع تاريخ الفلسفة بان حول المعرفة إلى عملية تتم بين ذات وموضوع<sup>1</sup>.

يعتبرها برماس هذه العقلانية سمة من سمات الفكر ما بعد الميتافيزيقي؛ ويطلق عليها أحيانا العقلانية الاجرائية، أي المتجسدة في الممارسة الحجاجية.

هذا ما جعل بعض المهتمين بأفكار هابرماس، يذهبون إلى اعتبار أخلاقيات النقاش تأسيسا للمجتمع المدني؛ جان كوهان، على سبيل المثال، يذهب إلى أن تلك الأخلاقيات تمثل نظرية سياسية تعمل على التأسيس لمجتمع ديموقراطي مدني يستوعب التعدد ويكرس الحوار<sup>2</sup>.

من هذا المنظور قام هابرماس بمحاورة أبرز الفلاسفات الألمانية التي عاصرها، وفي هذا السياق قام بما أسماه إعادة البناء النقدي للمادية التاريخية مستلهما في ذلك التراث النقدي لمدرسة فرانكفورت، وتراث عصر الانوار، وقد ضمن تلك العملية كتابا سماه: ما بعد ماركس، أكد فيه أن الماركسية لم تستنفد كل طاقاتها وإمكاناتها التحفيزية بوصفها فلسفة تحريرية؛ والمطلوب في اعتقاده، هو جعلها تساير عصرها ولا تتخلف عنه، إن هذا الامر يعني بالنسبة لهابرماس إعادة تأهيل الماركسية لكي تساير متطلبات المجتمع الالمانى ما بعد الحرب العالمية الثانية؛ و هو ما اقتضى تطعيمها بعدة مفاهيم مستقاة من نظرية الفعل التواصلي يقول: "رغم ان نظرية التواصل وظيفة حل المسائل ذات الطابع الفلسفي و التي تهتم ابستمولوجيا العلوم الاجتماعية و اسسها فاني ارى لها علاقة وثيقة جدا بالمسائل التي تطرحها نظرية التطور الاجتماعي"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>– J.Habermas, **La science et la technique comme ideologie**, p .167.

<sup>2</sup>– J.Cohen, **Discourse ethics and civil society in civil society and political theory**, London, 1999, p .219.

<sup>3</sup>J.Habermas, **Après Marx**, Trad .J .Ladmiral, Paris, 1985, p .26–27.

إن الاندماج الاجتماعي، الذي يسعى هابرماس إلى تحقيقه داخل المجتمع، ينطلق من حديثه عن مفهوم التواصل، وعلى هذا الأساس يقوم بمراجعة العديد من النظريات الفلسفية والاجتماعية والسياسية واللغوية لتعزيز نظريته التواصلية؛ فهو في الأخير، يسعى إلى بناء مجتمع حدائي وعقلاني قائم على أخلاقيات الحوار والمناقشة.<sup>1</sup>

هذا ويخلص هابرماس إلى التمييز بين فعل تواصل قوي، وفعل تواصل ضعيف، وهو تمييز أتى في كتابه الحقيقة والتبرير.<sup>2</sup>

والقواعد التي اقترحها هابرماس هي التالية:

- ❖ لكل من هو قادر على الكلام والفعل نصيب كامل في النقاش.
  - ❖ لكل الحق في اثاره اي اشكال او اعتراض على أي تأكيد كيفما كان؛ يندرج ضمن هذا الحق حق الاعتقاد في آراء ما والتعبير عنها.
  - ❖ لا يحق منع اي كان ممن المتحاورين من النقاش ولا استعمال اسلوب الاكراه عليه.<sup>3</sup>
- يبدو أن أخلاقيات النقاش عند هابرماس تهتم بالمعايير؛ معايير الفعل التواصلية، وهو أمر لن يتم، بالنسبة لهابرماس إلا في إطار الدولة الدستورية، حيث يكون بإمكان المواطنين المشاركين في سياسة تشاورية ان يصلوا إلى تأسيس معايير تحظى باحترام الجميع وقبولهم.<sup>4</sup>

---

<sup>1</sup> -محمد الأشهب، الفلسفة والسياسة عند هابرماس، جدل الحداثة والمشروعية والتواصل في فضاء الديمقراطية، منشورات دفاتر سياسية، ط1، 2006م، ص13

<sup>2</sup>14- J.Habermas, **Verité et justification**, Trad .Rainer Roschlitz, Paris, 2001, p. 56.

<sup>3</sup> - J.Habermas, **Morale et communication**, p.111.

<sup>4</sup> - J.Habermas, **Verité et justification**, Trad .R. Rochlitz, Paris, 2001, p. 206.

يحدد هابرماس الأفعال التواصلية على النحو التالي: «هي تلك الأفعال التي تكون فيها مستويات الفعل بالنسبة للفاعلين المنتمين إلى العملية التواصلية غير مرتبطة».<sup>1</sup>

عارض الفيلسوف الفرنسي المعاصر جون فرنسوا ليوطار J.F Lyotard مفهوم الإجماع لدى هابرماس معتقدا أن جوهر الأمور هو الاختلاف والنزاع، ولا إبداع دونهما، متهما في نفس الوقت هابرماس بأنه يدافع عن مشروع الحداثة المؤسس على فكر الأنواريين ويسعى إلى بناء خطاب فلسفي يتخذ الإجماع هدفا له؛ بينما يعتبر ليوطار الحداثة خطابا متجاوزا تظل كل محاولة لرد الاعتبار له محاولة يائسة.

إن جوهر الإبداع والتطور في اعتقاد ليوطار، هو الاختلاف وليس الإجماع.<sup>2</sup>

يعتبر هابرماس هذه العقلانية سمة من سمات الفكر ما بعد الميتافيزيقي؛ ويطلق عليها أحيانا العقلانية الإجرائية، أي المتجسدة في الممارسة الحجاجية.

هذا وخلص هابرماس إلى التمييز بين فعل تواصل قوي، وفعل تواصل ضعيف، وهو تمييز آتٍ في كتابه الحقيقة والتبرير<sup>3</sup>

الفرق بين الفعل الأداتي والفعل التواصلية عند هابرماس:

❖ الفعل الأداتي موضوعه العالم الموضوعي (الطبيعة)، بينما الفعل التواصلية موضوعه العالم الاجتماعي.

---

<sup>1</sup>-J.Habermas, **Theorie de l'agir communicationnel**, Trad .JM. Ferry, Paris, 1987, T.1, p10

<sup>2</sup>-مانفريد فرانك، **حدود التواصل**، مصدر سبق ذكره، ص 76-54.

<sup>3</sup>-J.Habermas, **Verité et justification**, Trad .Rainer Roschitz, Paris, 2001, p. 56.

❖ الفعل الأدا تي يهدف إلى تحقيق السيطرة على العالم الموضوعي، بينما الفعل التواصلي يهدف إلى إيجاد نوع من التفاهم داخل العالم الاجتماعي.

❖ خطاب الفعل الأدا تي هو خطاب تقرير يقتضي بلوغ الحقيقة لادعائه الصلاحية والمشروعية، بينما خطاب الفعل التواصلي هو خطاب معياري يقتضي الصحة لمشروعيته.<sup>1</sup>

الفرق بين الفعل الاستراتيجي والفعل التواصلي عند هابرماس: رغم أن الفعل الاستراتيجي والفعل التواصلي لهما موضوعا وميدانا واحدا هو العالم والميدان الاجتماعي، فإنه يمكن من خلال التحليل السابق أن نستنتج بينهما عدة فروق تتمثل فيما يلي:

✓ الفعل الاستراتيجي هو فعل يهدف إلى تحقيق النجاح، بينما الفعل التواصلي يسعى فيه الفاعلون إلى التعاون البيئذاتي والحوار.

✓ الهدف من الفعل الاستراتيجي هو إقناع الآخر والتأثير فيه، بينما يهدف الفعل التواصلي إلى تحقيق التفاهم والمشروعية.<sup>2</sup>

---

<sup>1</sup>-المحمداوي علي عبود، الإشكالية السياسية للحدثاء: من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، منشورات ضفاف، دار ومكتبة عدنان، كلمة للنشر والتوزيع، ط 1، 2015، ص 197.

<sup>2</sup>-المحمداوي علي عبود، الإشكالية السياسية للحدثاء: من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، ص 197.

# المبحث الثاني:

هايرماس وفلسفة التواصل.

## تمهيد:

أصبح التواصل صوتا يوحد العالم رغم المرجعيات المختلفة والايديولوجيات السائدة، لأن العالم رغم ترامي الأطراف وتشتت الأفكار إلا أنه يحتاج إلى إيصال الصوت والكلمة، وهذا احتاج إلى أدوات وتقنيات، خاصة عند وجود قضايا تعم الرأي العام العالمي التي يحتاج الجميع إلى الاشتراك في التفكير والفكرة والنتيجة.

### المطلب الأول: ترجمة هابرماس.

هابرماس يورغن: ولد سنة 1929، عمل مساعدا لأدورنو بجامعة فرانكفورت من (1956-1959)، ثم درّس بعد ذلك الفلسفة وعلم الاجتماع بجامعة هايدلبرغ Heidelberg حيث التقى هناك غادامير، ثم عاد إلى فرانكفورت وأسس نظرية الفعل التواصلية سنة 1981. «درس هابرماس الفلسفة من 1949 إلى 1954 مع نيكولاي هارتمان Nicolai Hartmann في غوتنبرغ، ومع هانس بارث Hans Barth في زيوريخ بسويسرا، وفي الوقت نفسه تابع دروسا في التاريخ وعلم النفس والاقتصاد، ناقش أول أطروحة جامعية سنة 1954 حول التاريخ عند شلينج Schelling قبل أن يشرع في أبحاث حول مفهوم الايديولوجيا، تمت ترقيته مساعدا لأدورنو في جامعة فرانكفورت (معهد الأبحاث الاجتماعية) سنة 1956، وقدم هابرماس أطروحة جامعية ثانية لكنها رفضت من طرف هوركهايمر، فاضطر إلى مناقشتها في جامعة ماربورغ تحت إشراف أندروث W.Adendrothe سنة 1960، ولكن هذه الحادثة لم تمنع هابرماس من البقاء وفيها لمدرسة فرانكفورت وأن يبقى أحد أتباع هوركهايمر وأدورنو، وبعد سنتين من ذلك قام بنشر هذه الأطروحة تحت عنوان «الفضاء العمومي، أركيولوجيا الدعاية كبعد تأسيسي للمجتمع البرجوازي» L'espace public. وبعد مناقشة هابرماس لأطروحته الجامعية تولى التدريس بجامعة هايدلبرغ Heidelberg إلى جانب هانس جورج غادامير، وفي سنة 1964 رقي إلى رتبة أستاذ للفلسفة وعلم الاجتماع بجامعة فرانكفورت، وبعد أحداث الطلبة

في أوروبا الغربية سنة 1968 والإصلاحات الجذرية والعميقة التي أعقبتها من خلال مراجعة أسس الليبرالية الغربية والقوانين التي تقوم عليها أصبح هابرماس هدفا لليسار الفاشي، فقرر مغادرة جامعة فرانكفورت سنة 1971 وأصبح مديرا لمعهد ماكس بلانك للبحث في شروط وجود عالم علمي وتقني، وهنا أيضا أصبح هدفا لإرهاب بعض المنظمات اليمينية المتطرفة في ألمانيا فتوجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ثم عاد إلى جامعة فرانكفورت واستقر بها منذ سنة 1983 .» وقد كان لهابرماس أعمال كثيرة، حيث يعد واحدا من أكثر الفلاسفة غزارة في الإنتاج الفكري خلال النصف الثاني من القرن العشرين، ومن أهم هذه الأعمال «المعرفة والمصلحة» و«العلم والتقنية كإيديولوجيا» و«الحدثة وخطابها السياسي» و«اتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة» و«الأخلاق والتواصل» و«القول الفلسفي للحدثة»، و«نظرية الفعل التواصلي»<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup>-Besnier Jean-Michel, Op.Cit, p, p, 613, 615.

## المطلب الثاني: تعريف نظرية الفعل التواصلي عند هابرماس.

عرفها هابرماس قائلا: هي صياغة نظرية لتواصل وبلورة القوانين التي تتحكم فيه، وهذا التواصل عبارة عن علاقة موازية حرة بين فئات المجتمع المتعددة ومتباينة العلاقة، تتوخى بناء وعي حر لا تحكمه المؤسسات أو الأيدولوجيات المفروضة من قبل الأنظمة السياسية<sup>1</sup>، إن نظرية الفعل التواصلي لدى هابرماس تكون بصياغة القوانين من أجل التواصل الذي يعمق التواصل بين الأفراد والمجتمع.<sup>1</sup>

إن ما نسميه «العقلانية» هي أولا القدرة التي تثبت الموضوعات التي يمكن أن تكون محل حديث أو فعل تم اكتسابه والعمل به على أساس معرفة خاطئة، حيث أنه منذ زمن طويل والمذاهب الفلسفية تقرض فهما قاصرا للمعرفة وتقدم معرفة نسبية حول بعض الأشياء الموجودة في هذا العالم الموضوعي، إن العقلانية كانت مقياسا لموضوع معزول موجه لخدمة استمرار الأفكار الخاطئة، حيث تم تركيز التفكير على معايير العقلانية انطلاقا من مواصفات الحقيقة والنجاح، والتي تنظم العلاقة بين المعرفة والعمل من أجل تحقيق غاية الاتفاق على عالم الأشياء الممكنة ، ولهذا يجب علينا الإسراع في القيام بتصميم معرفة تقوم على التواصل، أي تأسيس العقلانية على معايير كلية (شاملة)، يكون من خلالها الناس مسؤولين ومشاركين في هذا التفاعل الذي يتحرك وفقا للصلاحية التي تمثل معرفة بينذاتية.<sup>2</sup>

إن هابرماس لم يثبت ولا يستطيع أن يثبت أولوية فعل التواصل على الفعل الاستراتيجي، وأنا شخصا غير مقتنع بأن ذلك يجب أن يبرهن عليه بصفة مطلقة، فالمهم هو فكرة التواصل ذاتها

<sup>1</sup>-حمدي أبو النور حسن، يورغنهابرماس، الأخلاق والتواصل، بيروت: التنوير للطباعة والنشر، 2004،

<sup>2</sup>- هابرماسيورغن، القول الفلسفي للحدثاء، تر فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1995، ص،

وكونها تتبع من اللغة، فهذه الفكرة تزودنا بإمكانية أن يكون لدينا مثل أعلى نقيس بمقتضاه الأشياء وننقدها، فضلا عن أنه يزودنا بتصور آخر للعقل.<sup>1</sup>

كما أن هابرماس يعتقد بشكل جلي، أنه بإمكانه القبول دونما حاجة إلى إقامة أساس آخر عدا التواصل في العالم المعيش<sup>2</sup>، ويبدو أن نظرية الفعل التواصلية بنواتها التداولية الشكلية وبتفريعاتها من أنماط مختلفة من عقلانية الفعل، ومن ثمة التفريق بين «نسق» و«عالم معيش» ليست متضمنة في الفهم والحكم الملموسين على أسباب الفعل التي، وبموجبها، تقوم بصياغة منطوقات تدعى الشمولية الشكلية<sup>3</sup>.

إن إتيقا التواصل أو الإتيقا الحاجية، هي الفلسفة التي وجدت مع هابرماس وأبل دعوة سياسية شاملة، وهي الدعوة التي كانت مغيبة في أعمال هوركهايمر وأدورنو<sup>4</sup>، وأضاف: إن إرادة المحاججة العقلانية هي تعهد أرجعه جان مارك فيري إلى كانط "أخلاق كونية من وجهة نظر كوسموسياسية" في نهاية القرن العشرين، وليس هنا كما هو أكثر من هذا العهد جدارة يستحق الدفاع عنه.<sup>5</sup>

أن هذا البراديغم الجديد لا يسمح بإبراز مكانة وأهمية طابع الصراع أو النزاع الذي يعيشه المجتمع الحالي، الذي لازالت آليات السيطرة أو الهيمنة متحكمة فيه إلى حد بعيد [...]

---

<sup>1</sup> - كريب إيان، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة: محمد حسين غلوم، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1999، ص، 362.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 35.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 54.

<sup>4</sup> - Besnier Jean-Michel, **histoire de la philosophie moderne et contemporaine figures et œuvres**, Op.Cit, p, 617.

<sup>5</sup> - Ibid, p, 617.

إن نظرية هابرماس التي استندت إلى القواعد اللغوية الصورية لعملية التواصل الناجح قد تجاهلت ما يسمى بالتجارب الأخلاقية للجور الاجتماعي<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> -بومير كمال، قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت-لبنان، 2010، ص

## المطلب الثالث: مفهوم المجال العام.

تعدُّ النظرية التوافقية عند هابرماس السبيل الأساس لمناقشة مختلف القضايا التي تتعلق بمبحث الأخلاق لديه، انطلاقاً من تمييزه بين العقل الأداتي، الذي شهد هجوماً لمركزيته في الفكر الغربي تحت ظلّ الرأسمالية الحديثة، وكما يقول حسن مصدق: «العقل الأداتي الذي استفرد بحياتنا الاجتماعية ذو طبيعة سلطوية لا ينظر إلى الأشياء والأفراد إلا من خلال الضبط والتحكم والتقنين»<sup>1</sup>.

ويعتبر الرهان الأخير معيارياً، لأنه يخص آفاق العلاقة الإنسانية التي تتلخص في ضرورة بناء مجتمع حوارى يوجهه مبدأ قبول الآخر المختلف. فالتواصل، وإن كان ينطلق من استراتيجية تأكيد الذات والتأثير في الآخر، إلا أنه يهدف في العمق إلى بناء ما يسميه هابرماس Habermas بـ «الفضاء العمومي» كفضاء للعلاقات القائمة على الاختلاف والحوار وسيادة روح الديمقراطية والتسامح.

يمكن تحقيق ذلك إذا ما نحن شيدينا نموذجاً آخر للتواصل، يعوض التعاقد الاجتماعي الكلاسيكي بين الفرد والمجتمع، بتوافق تبلوره المناقشة بين جميع الأفراد بهدف تحقيق «المواطنة الديمقراطية». ويؤكد هابرماس بأن هذا الأمر سيسمح بخلق علاقات تشاورية تشكل مستوى أرقى من الديمقراطية التمثيلية [البرلمانية]، لأنها ستؤدي إلى تبادلات أوسع يتم فيها إعادة الاعتبار إلى الذات الفاعلة في فضاء المجتمع<sup>2</sup>. ذلك من أجل مجتمع ممكن يتحقق في أطروحة الفضاء العمومي؛ «إن للفلسفة دوراً تؤديه من خلال التأمل في المعرفة والكلام والفعل، ومن خلال هذا التأمل تستطيع الفلسفة أن تساعد في تحديد أو إبراز بعض الشروط اللازمة لإقامة شكل من أشكال الحياة العقلانية، سواء استطاعت المجتمعات بعد ذلك أن تحققه، أم

<sup>1</sup>-حسن مصدق، النظرية النقدية التوافقية-يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط1، 2005، ص11.

<sup>2</sup>- J.Habermas, *Théorie de l'agir communicationnel*, éd.Fayard, Paris 1987. Voir aussi, *Morale et communication*, éd.du Cerf, Paris, 1987.

خرجت عليه؛ بمعنى أن تساعدنا على فهم وتفسير ونقد التقاليد والمؤسسات التي نتوارثها باعتبارنا أعضاء في مجتمعات معينة، ونعيش في ظروف تاريخية محددة. وبهذا يختلف هابرماس اختلافاً صريحاً عن النظرة السلبية للتاريخ التي ذهبت إليها مدرسة فرانكفورت في مرحلتها المتأخرة. فنظريته النقدية تحاول أن تفتح نافذة الأمل [...] في تحقيق بعض الشروط اللازمة لإقامة حياة اجتماعية على أسس عقلانية.<sup>1</sup> وفي هذا الصدد نجد حسن مصدق يقول: «إن إحدى نقاط القوة، في تداولية آبل وهابرماس، تتجلى في أن البرهنة على الأخلاق مكون أساسي للعقلنة والتواصل معاً. وتختص شروط تداولية المنطق النظري بملفوظات البرهنة، من أجل أن تصل عملية ما بين الذاتية إلى إقرار صلاحية الأفكار المعروضة واستمرار التفاعل الإيجابي بينها. ومن هذا المنطلق يقدم هابرماس وآبل نقداً ثابتاً للنظرية الأخلاقية الكانطية، التي لا تعدو أن تكون في نظرها «مجرد إعلان نوايا واجبات صورية» من طرف مونولوج أحادي لذات عارفة تتاجي العالم المتعالي، بينما تعالج الفاعلية التواصلية الحقيقة بين الأفراد، كسيرورة للبرهان والمحااجة، من منطلق القضايا اللغوية المتبادلة بينهما؛ إذ لا يقر لها معنى إلا بتحققها، وبالتالي لا تستقيم الحقيقة بدون تقديم البرهان عليها، فهي التي تتم إذا توصل الفرقاء إلى اتفاق قائم على شروط اللغة المعيارية.

---

<sup>1</sup>-عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، منشأة المعارف، الإسكندرية-مصر، 2002م، ص83.

## الفصل الثالث:

عبد الرحمن عزي وجهوده في التنظير.

# المبحث الأول:

عبد الرحمن عزي وجهوده في التنظير.

## المطلب الأول: ترجمة عبد الرحمن عزي.

تحصل المفكر الجزائري عبد الرحمن عزي على شهادة الليسانس في الصحافة من جامعة الجزائر عام 1977 وعلى شهادة الماجستير في الصحافة عام 1980 وعلى الدكتوراه في سوسيولوجيا الإعلام عام 1985 من جامعة نورث تكساس بأمريكا. وقبل ذلك؛ عمل الأستاذ محررا -تغطية الأخبار المحلية- في جريدة «الشعب» اليومية -الجزائر- لمدة سنتين. وتتجاوز خبرته في التدريس والبحث والإشراف أربع وعشرون سنة إذ عمل كمدرس لمدة ثلاث سنوات في جامعة نورث تكساس، ثم كأستاذ مساعد فأستاذ مشارك فأستاذ لمدة إحدى عشر سنة بمعهد علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر ثم كأستاذ لمدة ثلاث سنوات بقسم الاتصال بالجامعة العالمية الإسلامية ماليزيا ثم كأستاذ بقسم الإعلام بجامعة الملك سعود لمدة أربع سنوات، أستاذ بقسم الاتصال الجماهيري بجامعة الإمارات العربية المتحدة لمدة أربع سنوات، ثم أستاذ بكلية الاتصال، جامعة الشارقة منذ 2006.<sup>1</sup>

لا شك أن كل باحث -كما أشار عبد الرحمن عزي نفسه- متأثر (عن وعي أو غير وعي) بخلفيته وتجربته ومجموعة من المؤثرات الثقافية المتعددة كالمكان والزمان، لذلك فإن فكر البروفيسور عزي لم يكن لينفصل عن البيئة التي نشأ وترعرع فيها فقد ذكر أنه فطم في بيئة (بني ورثيلان الأمازيغية الواقعة شرق الجزائر) مفعمة بالتعاليم الدينية وحفظ القرآن، كما أن إقامته بأمريكا بعض الوقت واحتكاكه المباشر مع أتباع مختلف النظريات، جعله -كما اعترف بذلك هو نفسه- يدخل إلى مجال التنظير في الاتصال تحت تأثير بعض أدوات المنهجية الغربية. وقد رأى أن ذلك أمرا عاديا إذا اعتبرنا أن المنهجية تولد أدوات أو (طريقة) عقلانية أو واقعية في الوصول إلى مجموعة من الحقائق النسبية. فالأدوات تملك مجالا مستقلا، أي محايدا نسبيا، وقد مكنته تلك الأدوات من النظر إلى الذات والثقافة من زاوية خارجية، ما حفّزه للنبش في التراث، فدرس ابن خلدون والنظرية الغربية، واستوقفته إسهامات مالك بن نبي أين أضاف

<sup>1</sup>-نصير بوعلي، الاعلام والقيم، قراءة في نظرية المفكر الجزائري عبد الرحمن عزي، دار الهدى، هين مليلة، الجزائر،

عامل الإعلام إلى العناصر الأخرى المكونة لنظريته (الإنسان والتراب والزمان). ورغم أن إسهامات العلماء المسلمين الأوائل في نظرية الاتصال غير واضحة إلا أن عبد الرحمن عزي وجد في مناهجهم ما كان سندا أساسيا في تطوير نظريته.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup>-موقع نظرية الحتمية القيمية في الإعلام، <https://bit.ly/3pizCnG>، تم الاطلاع عليه: 2022/02/27 على

المطلب الثاني: تعريف المفاهيم.

أولاً: تعريف القيم.

### 1- لغة.

والقيمة، بالكسر: واحدة القِيمِ، وما له قيمة: إذا لم يَدُم على شيء، وَقَوِّمْتُ السِّلْعَةَ واسْتَقَمَّته: تَمَّنَّته.

واستقام: اعتدل. وقومته: عدلته، فهو قويمٌ ومُسْتَقِيمٌ،

والقوام، كسحاب: العدل، وما يُعاش به، وبالضم: داءٌ في قوائمِ الشاءِ، وبالكسر: نظامُ الأمرِ، وعماده، وملاكه، كقيامه وقوميته، ج: قِيمٌ.<sup>1</sup>

### 2- تعريف القيمة.

القيم جمع قيمة، وهي معيار لمعرفة الصالح من الفاسد، وهي تختص بالحياة الإنسانية بالذات ولا يعرفها الحيوان.<sup>2</sup>

❖ القيمة: انطلاقاً من المنظور المتبنى في هذه الدراسة فإننا سنتجاوز كل

المفاهيم

التي عالجت القيمة ومصدرها ونركز فقط على ما طرحه المفكر عزي عبد الرحمن صاحب نظرية الحتمية القيمية في الإعلام من مفهوم للقيمة ونتبناه إجرائياً للدراسة، حيث يعرف القيمة للقيم وهو يتحدث عن الثقافة والاتصال فيقول «الثقافة سلم يمثل مستواه الأعلى للقيم،

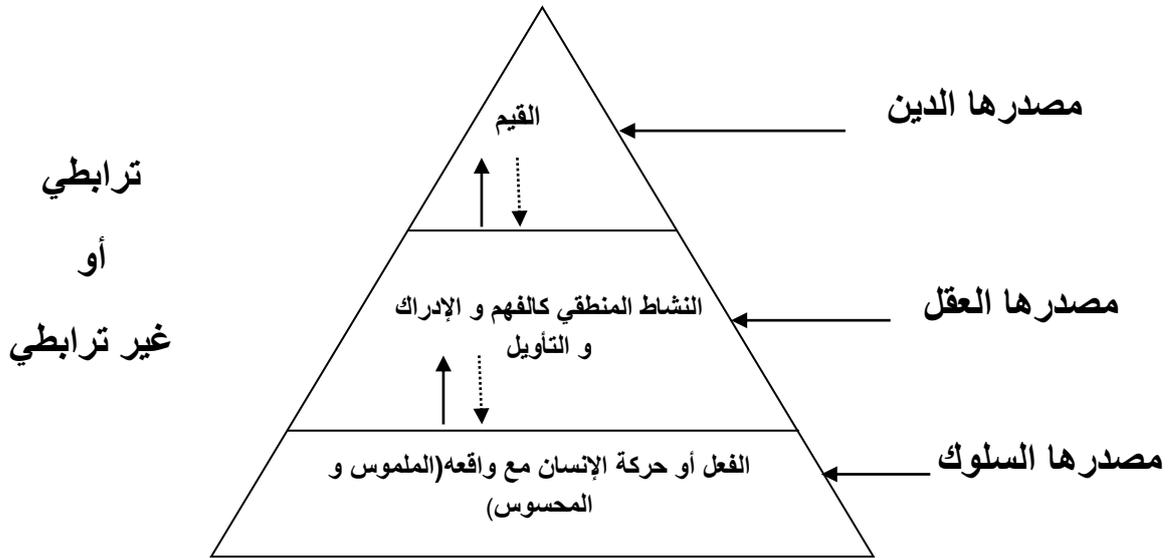
<sup>1</sup> -مجد الدين الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحق: مكتب تحقيق التراث فيمؤسسة الرسالة، إشر: محمد نعيم

العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط8، 2005، ص 1152.

<sup>2</sup> -مانع بن محمد بن علي المانع، القيم بين الإسلام والغرب، الرياض-دار الفضيلة، ط1، 2005، ج 1، ص 15.

والقيمة ما يرتفع بالفرد إلى المنزلة المعنوية، ويكون مصدر القيم في الأساس الدّين، فالإنسان لا يكون مصدر القيم وإنما أداة تتجسّد فيها القيم»<sup>1</sup>.

يوضّحها ذلك من خلال هرم يمثل مستويات الثقافة ويرى أنّه كلّما ارتقت الثقافة إلى مستوى القيم ارتبطت بالدّين بالضرورة ويأتي العقل في مرتبة موازية ويمثل نشاطا منطقيًا يتعامل مع المسائل النظرية كالإدراك والفهم والتأويل... ويكون هذا النشاط المنطقي منطقيًا بالضرورة إذا كان وثيق الصلة بالقيم ومصدر هذا النشاط الذهني «العقل» ويكون هذا النشاط العقلي المستوى الذي ترتقي به الثقافة إلى الحضارة، وقد يكون مرتبطًا بالقيم فيكون ترابطيًا وقد يتحرك في مجال لا يتصل بالقيم فيكون غير مترابط ويقول عبد الرحمن عزّي أنّه «يأتي في أسفل الثقافة حركة الإنسان وفعله أي «سلوكه» وكلّما ارتبط فعل الإنسان وسلوكه بالعقل كان الفعل عقليًا ومنطقيًا، وكلّما ارتبط بالقيم كان الفعل منطقيًا وقيميًا» وهذا ما يمثله الشكل التالي:<sup>2</sup>



شكل رقم (1): هرم يمثل مستويات الثقافة

<sup>1</sup>- عبد الرحمن عزّي، دراسات في نظرية الاتصال- نحو فكر إعلامي متميّز، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي. ع28، بيروت-لبنان، ط 1، 2003، ص 106.

<sup>2</sup>- عبد الرحمن عزّي، دراسات في نظرية الاتصال- نحو فكر إعلامي متميّز، مصدر سبق ذكره، ص 106-107.

إذن فالقيمة عند عبد الرحمن عزّي هي «ما يسمو بالفرد ويرفعه من معان»، ويمكن إدراكها واستنباطها من النصّ القرآني والسيرة النبوية والنصوص المرجعية التي أنتجتها الحضارة العربية الإسلامية، إضافة إلى النصوص النهضوية الحديثة.

فالقيمة سبقت فعل الإنسان، إذ أنه في البدء كانت الكلمة، وكلمة «اقرأ» في الآية اتبعت «باسم ربك» أي تكون القراءة في سياق تعاليم إلهية وليست قراءة دون مرجعية.

ويوضح عبد الرحمن عزّي رؤيته من خلال تحديده للصلة الوثيقة بين القيم والدين وبين الخالق والمخلوق إذ يقول «ويمكن فهم العلاقة بين المعتقد والإنسان ولو دققنا في معنى واشتقاقات كلمة الخلق فالخالق تعالى هو الأوّل والآخر . ومنها فالإنسان من صنع الخالق تعالى في كتابه، قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: 55]، أمّا الخلق فيشير إلى «القيمة والأخلاق» بوصفها بابا من أبواب القيمة، ومن المعلوم أنّ خلق الرسول صلى الله عليه وسلّم كان القرآن.

إذن فإن هناك ارتباطا وثيقا بين الخالق تعالى والخلق «الإنسان» و«الخلق» «القيمة»<sup>1</sup>. وإنّنا نجد في معظم دراسات وأبحاث عبد الرحمن عزّي ينظر فيها إلى القرآن الكريم كمصدر لموضوع الإعلام مع عدم إغفاله الجوانب الروحية بوصفها متغيّرا أساسيا في معالجة الظواهر الإعلامية، بل وتعتبر المرتكز الأساسي في التفسير والفهم ويؤكد كذلك على الفائدة النظرية الكبرى التي تحصل من اعتماد النصّ القرآني مصدرا للقيمة والمعرفة العلمية<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> -محمود محمد قلندر، محمد بأكبر عوض، اتجاهات البحث في علم الاتصال، ط1، دار الفكر، دمشق، 2009م، ص127.

<sup>2</sup> -نصير بوعلي، الإعلام والقيم، قراءة في نظرية المفكر الجزائري عبد الرحمن عزّي، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2005 م، ص 16 - 17.

ثانياً: تعريف الواجب الأخلاقي.

## 1- فلسفياً.

الواجب الأخلاقي هو المبدأ الأخلاقي الذي تقوم عليه تصرفات الشخص والذي يسمح لها أن تكون صحيحة. وبهذه الطريقة، يتصرف الشخص وفقاً للواجب الأخلاقي إذا التزم بالمعايير الأخلاقية للحقيقة والخير. قد يفنقر هذا إلى القيمة العالمية، لأن ما قد يكون أخلاقياً بالنسبة لبعض الأفراد قد لا يكون كذلك بالنسبة للآخرين، أو قد يكون كذلك لمجتمع ما وليس لمجتمع آخر. لهذا السبب، بالنسبة لعلوم القانون، لا ينطوي الواجب الأخلاقي على مطلب قضائي، لأنه لا يفرض أي واجب على الملتزم، باستثناء ما يتعلق بالضمير.

لكي نفهم بالضبط ما يعنيه «الواجب الأخلاقي»، يجب على المرء أن يشير إلى إيمانويل كانط، المسؤول عن التعامل معه في إطار أخلاقه. هناك يجادل بأن سبب الإنسان هو الذي يجب استخدامه لتحديد كيف يجب أن يتصرف الشخص أو يتصرف.

## 2- في الإسلام.

أن الواجب أو الضرورة الأخلاقية هي فعل مطلوب عقلياً (وجوب عقلي بلغة الفقهاء) لاستنادها إلى قواعد أخلاقية تنبثق عن الطبيعة البشرية-أي إلى أسس القانون الطبيعي. يستلزم الواجب العقلائي نظاماً أخلاقياً موضوعياً قائماً على الإرادة والعدل الإلهيين، ويكون تقييمه واضحاً للعقل الإنساني. وبالمقارنة مع الالتزام المستدل عليه عقلياً، تُعد العقيدة القائلة بأن إرادة الله هي المصدر النهائي لتصور للالتزام الأخلاقي القائم على الوحي (الواجب الشرعي) كتعبير عن إرادة الله المطلقة.

يقدم العقل الحر وفقاً للمعتزلة، مبرراً لتصور الواجبات المعتادة كجزء من تحقيق إرادة الله، وهي الضرورة المبنية على الوحي (واجب شرعي) من أجل أن يحقق الناس الفلاح في الدنيا والثواب في الآخرة أن الفرق بين العقل والواجب القائم على الوحي هو أن الفعل القائم على الشعور الأخلاقي بالواجب، وفقاً للقرآن، هو جزء من التقليد والأمر الأبدي (سنة الله)، وهو

القانون الطبيعي، وهدف للتفكير البشري؛ فبينما يعمل الأنبياء الواجب القائم على الوحي تجاه أتباعهم لتحقيق إرادة الله في الرخاء للبشر؛ يقوم العمل الأخلاقي على المعايير الأخلاقية والاجتماعية التي تكون عالمية وقابلة للتطبيق على جميع البشر كبشر. علاوة على ذلك، من حيث هدفه المتمثل في تعزيز العلاقات بين البشر، فإن الالتزام الأخلاقي يُستمد من أسس المعايير الأخلاقية التي تتبع الطبيعة البشرية الأساسية. ويؤدي العمل القائم على الوحي إلى اكتشاف الواجبات المطلوبة دينيًا وهي حصرية بالضرورة، من حيث أنها لا تنطبق إلا على العضوية داخل المجتمع الديني.

# المبحث الثاني:

عبد الرحمن عزي والحتمية القيمية.

## المطلب الأول: الخلفية المعرفية لنظرية الحتمية القيمية في الإعلام.

يمكن القول أن المعالم الأولى لظهور نظرية الحتمية القيمية في الإعلام كانت مع بداية الثمانينيات من القرن الماضي<sup>1</sup>، حيث برزت مع الدراسات الأولى التي قام بها عزي عبد الرحمن منذ عودته إلى الجزائر من 1985م، فالفترة التي قضاها عزي عبد الرحمن في أمريكا ما بين 1977-1985م والنهل من المدارس والمعارف الغربية المتميزة كانت حافزا كبيرا لديه في ميلاد النظرية.

فالحقيقة أن ما تلقاه عزي عبد الرحمن من علم في أمريكا آنذاك وقراءته المتأنية المعمقة لنظريات الاتصال الغربية والتوغل فيها وفهمها واستتطاق الظاهرة الاتصالية ضمنها، بالإضافة إلى المعاشة المباشرة والاحتكاك بالدارسين والمهنيين -أصحاب هذه النظريات- جعله يكتسب خزانا معرفيا متميزا ورؤية واضحة صريحة حيث أدرك إيجابيات هذه النظريات وتخصّص نقائصها واستجلى منها عدم قدرتها على التطابق مع المجتمع الذي ينتمي إليه عزي عبد الرحمن وهو المجتمع الإسلامي.<sup>2</sup>

والمؤكد أيضا أن الانتماء الحضاري الذي يميز عزي عبد الرحمن كان له تأثير كبير في فهم نقص النظريات الغربية وعقمها في كثير من الأحيان وعدم قدرتها على التعميم في التفسير والتطبيق على المجتمع العربي الإسلامي، حيث يذكر أن عزي عبد الرحمن قد فطم في بيئة دينية مفعمة بالتعاليم الدينية وحفظ القرآن مما كان لها الدور المحرّك المستقبلي في بصمات فكره، فقد نهل من المنابع الغربية دون تخليه عن منبعه التراثي الذي نشأ منه، إذ أنه أعاد قراءة التراث المعرفي الإسلامي من جديد وإنما بأدوات جديدة مستلهمة من الغرب.<sup>3</sup>

<sup>1</sup>- عبد الرحمن عزي، دعوة إلى فهم نظرية الحتمية القيمية في الإعلام، الدار المتوسطة للنشر، تونس، ط1، 2011، ص11.

<sup>2</sup>- نصير بوعلي، الإعلام والقيم، قراءة في نظرية المفكر الجزائري عبد الرحمن عزي، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2005، ص4.

<sup>3</sup>- بشير كردوسي، حفريات إبستمولوجية لنظرية الحتمية القيمية في الإعلام للدكتور عبد الرحمن عزي

<https://bit.ly/3C12Pse>.

ويؤكد عزي عبد الرحمن ذلك بقوله « الواقع أن عودتي المؤقتة إلى الجزائر والمحيط الثقافي الذي كان يكوّن أزمته الفكرية والهوية جعلني أستقل تدريجيا عن تلك البيئة النظرية الاجتماعية الغربية ولكن أدواتها ظلّت حاضرة في مقاربتني لهذا المحيط المستجد رغما عني، وقد مكنتني هذه الأدوات من النظر إلى الذات والثقافة من زاوية خارجية وكأنني أكتشف هذه الذات وهذه الثقافة، فكان ذلك حافزا أساسيا في النبش في التراث، فكتبت «يقول عزي» عن النظرية الاجتماعية الغربية وابن خلدون، كما استوقفتني إسهامات مالك بن نبي في دراسته للمشكلات الحضارية»<sup>1</sup>.

وإن المتأمل في دراسات عزي عبد الرحمن سيجد انه يعود فيها إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وفيها يؤكد على أهمية اعتماد النص القرآني مصدرا أساسيا من مصادر المعرفة العلمية<sup>2</sup>.

ويرى عزي عبد الرحمن أن القيمة متغير رئيسي عند دراسة الظاهرة الاتصالية والإعلامية ومصدر هذه القيمة هو الدين الإسلامي، ويؤكد على أهمية القيمة بقوله « إذا كان مصدر قوة نظريات الغرب المرجعية الاجتماعية فإن ثقل نظريتنا وتميزها يكمن في المرجعية القيمية غير المباشرة، فالقيمة تؤسس الإنسان ولا يكون هذا الأخير مصدر القيمة بل أداة لها.<sup>3</sup>

---

<sup>1</sup>- عبد الرحمن عزي، دراسات في نظرية الحتمية القيمية، نحو فكر إعلامي متميز، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة المستقبل العربي 28، بيروت - لبنان، سنة 2003، ص 10.

<sup>2</sup>- محمد البشير بن طبه: نظرية الحتمية القيمية في الإعلام: قراءة في سؤال المشروعية،

<http://sites.google.com/sites/value-media-determinism-theory/Ben-taba-elbachir>.

<sup>3</sup>- عبد الرحمن عزي، دراسات في نظرية الحتمية القيمية، نحو فكر إعلامي متميز، مرجع سبق ذكره، ص 12.

**المطلب الثاني: تسمية النظرية «الحتمية القيمية في الإعلام».**

لقد أطلق عليها عزى عبد الرحمن في بداية الأمر مسمى «الحتمية النظرية القيمية»، ثم في كتابه الإعلام والقيم أطلق عليها نصير بوعلى مسمى «الحتمية القيمية في الإعلام». والمسمى الأول يعكس ما ينبغي أن يكون عليه الواقع أي على مستوى المخيال المجرد، في حين المسمى الثاني الذي أطلقه نصير بوعلى يعكس الواقع المجسد، ويمكن إعطاء النظرية عدة مسميات:

➤ **على مستوى النظم: الإعلام القيمي.**

➤ **على مستوى التأثير: الحتمية القيمية الإعلامية.**

➤ **على مستوى النماذج: نموذج عزى عبد الرحمن.**

**أولاً: مفاتيح فهم نظرية الحتمية القيمية في الإعلام.**

وقد اقترح نصير بوعلى في مقاله والتي بعنوان « مفاتيح نظرية الحتمية القيمية في الإعلام »-مقاربة بنيوية-قدم من خلالها ثلاث مفاتيح أساسية لفهم النظرية في إطار هذه المقاربة البنيوية وهي:

**1-أسبقية النظرية ككل على الأجزاء: بمعنى النظرة الكلية للموضوع حيث لا يمكن**

فهم النظرية إذا لم يكن هنالك إلمام بمختلف دراسات عزى عبد الرحمن.

**2-أسبقية العلاقة على الأجزاء أو القيمة المحددة لها: بمعنى أنه لا يمكن النظر**

لنظرية الحتمية القيمية في الإعلام كدراسات مستقلة ومنعزلة ومفصولة عن بعضها البعض، بل لا بد من التغلغل في الدواخل واستجلاء الخيط الذي يعقد هذه الدراسات ألا وهو القيمة التي تمثل الحلقة الرئيسية في أبحاث عزى عبد الرحمن وتكون بذلك مركز ونواة النظرية.

**3-النظرية من زاوية سياقية.**

والتي تعني فهم النظرية في إطار سياق عام يستدعي حضور العوامل الاجتماعية والثقافية والحضارية والتاريخية، إضافة إلى بيئة عزى عبد الرحمن ودراسته في أمريكا وكل العوامل التي ساعدت على تشكل أساس جيد للنظرية.

ثانيا: تعريف نظرية الحتمية القيمية في الإعلام.

يتكون مسمى النظرية من ثلاث ألفاظ أساسية هي:

**الحتمية:** ويقصد بها اعتبار متغير واحد على أنه المحرك الأساس في تفسير أو فهم الظاهرة والمتغير الرئيس في هذه الظاهرة هو القيمة. أما الظاهرة فتخص الإعلام والاتصال.<sup>1</sup>  
**القيمية** « القيمة»: القيمة ما يرتفع بالفرد إلى المنزلة المعنوية، ويكون مصدر القيم في الأساس الدين، فالإنسان لا يكون مصدر القيم وإنما أداة تتجسد فيها القيم<sup>2</sup>  
**الإعلام:** ويقصد به رسالة الإعلام بوسائله التقليدية « الصحف، المجلات، الإذاعة، التلفزيون» والحديثة « الانترنت، الإعلام الاجتماعي.<sup>3</sup>

ثالثا: أهمية فهم وتطبيق النظرية في بحوث علوم الإعلام والاتصال.

يقول كريب «إن النظرية مفيدة إذا استطعنا التعلم منها، ولا نستطيع التعلم منها إلا إذا عرفنا كيف نستخدمها. ففهم النظرية هو مسألة تتعلق بتعلم التفكير النظري... حيث نتعلم لغة جديدة لتفسير خبراتنا في سياق الحياة»<sup>4</sup>  
وعليه فإن من فوائد النظرية أنها:

- تمتلك القدرة على تجميع الحقائق والمفاهيم والمبادئ وترتيبها.
- تقدم توضيح وتفسير لعدد من الظواهر والأحداث.
- تساعد في التنبؤ بالعديد من الظواهر وتوقع حدوثها.
- توجه التفكير العلمي وتضبطه.

ومن ذلك يمكن أن نفهم أهمية النظرية في بحوث علوم الإعلام والاتصال انطلاقا من

أنها:

<sup>1</sup>-عبدالرحمن عزي، دعوة إلى فهم نظرية الحتمية القيمية في الإعلام، مرجع سبق ذكره، ص 9.

<sup>2</sup>-المرجع نفسه، ص 106.

<sup>3</sup>-المرجع نفسه، ص 10.

<sup>4</sup>-شحاتة صيام، النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية إلى مابعد الحداثة، مرجع سبق ذكره، ص 16.

➤ تشكل الأساس الفكري والمرجعي والمنطلق التصوري لدى الباحث لفهم أبعاد الموضوع أو الظاهرة المدروسة.

➤ تعد النظرية بمثابة النموذج الإرشادي الذي يستعين به الباحث في بحثه لتوجيهه الوجهة العلمية الصحيحة والمضبوطة.

➤ تحدد النظرية للباحث المعطيات اللازمة من افتراضات ومبادئ ومفاهيم مع توضيح كيفية تنظيمها وتصنيفها وتبيان العلاقات المترابطة والمتداخلة فيما بينها إضافة إلى الإجراءات المنهجية أثناء القيام بالبحث.

➤ تقدم النظرية للباحث جملة من المفاهيم التي يمكن أن يستعين بها في بحثه وهي بذلك تلخص لديه الكثير من الحقائق المرتبطة بموضوعه.

➤ تعتبر النظرية البوصلة التي توجه الباحث عن هدفه بعيدا عن الفوضى والتناقض.

➤ النظرية هي المنارة التي تهدي الربان إلى شاطئ الأمان. أي أنها المرشد للباحث للوصول إلى نتائج علمية ناضجة وهادفة.

**رابعاً: رصد لواقع تطبيق النظرية في بحوث علوم الإعلام والاتصال بالجامعات الجزائرية.**

إن تطبيق نظرية علمية محددة في الجامعات الجزائرية في مجال بحوث علوم الإعلام والاتصال يمكننا رصد من خلال الاتجاهات التالية والتي تم استنتاجها بناءً على الاطلاع على عدد كبير من رسائل الماجستير والدكتوراه عبر مختلف جامعات الوطن في التخصص وعليه:

**الاتجاه الأول: التوظيف الشكلي للنظرية:** يسود في شق معين لرسائل الماجستير وحتى الدكتوراه التوظيف الشكلي للنظرية كأبي عنصر بحثي توثيقي مدرج في البحث دون أدنى توضيح أو مؤشر يدل على تطبيق عملي وفعلي لافتراضاتها ومفاهيمها وحتى التقنيات المنهجية التي تفرضها كل نظرية عن أخرى.

## الاتجاه الثاني:

**التوظيف دون فهم:** ما يلاحظ في الاتجاه الثاني هو توظيف النظرية مع عنصر بسيط تحت عنوان اسقاط النظرية على الدراسة ومن يطلع على هذا الاسقاط يجده عبارة عن محاولة كسر لغة الفرضية لا غير مع أن الاسقاط يجب أن يُلمس ابتداء من اختيار الموضوع إلى غاية النتائج النهائية، كما لاحظنا أيضا أن بعض الرسائل تتضمن نظريات لا تتوافق بأي شكل أو آخر مع موضوع الدراسة.

**الاتجاه الثالث: التوظيف بفهم النظرية:** وهناك من الباحثين من يدرك فعليا أهمية النظرية فنلمس وجودها انطلاقا من عنوان الدراسة كعنوان فرعي أو كمؤشر يدل على أن اتجاه الدراسة محدد في مجال معين للنظرية ونجدهم أيضا يسقطون افتراضاتها في سياق التساؤلات الفرعية لإعادة تجربتها وحتى التأكد من صحتها وثباتها وتوافقها مع المجتمع مجال ومحل الدراسة، إضافة إلى فهم أي منهج موائم في إطار النظرية وأي أداة وأي عينة قد تناسب تصنيف النظرية سواء على النطاق الكمي أو الكيفي.

**الاتجاه الرابع: عدم توظيف النظرية نهائيا:** ووجدنا أيضا بعضا من الرسائل التي لا تتضمن بتاتا أي نظرية معينة لتتعلق منها وربما يعود ذلك إلى عدم الاعتراف بأهمية النظرية أو نقص التكوين في هذا المجال أو حتى عدم فهمها وبالتالي ونحن نقرأ معطيات البحث نلمس فوضى وتفكك لبنية البحث وأنه يريد دراسة كل شيء في إطار شيء واحد.

**المطلب الثاني: التعريف بنظرية الحتمية القيمية عند عبد الرحمن عزي.**  
إن الناظر والمتمعن في صميم وعمق نظرية الحتمية القيمية في الإعلام المنتسبة للبروفسور عبد الرحمن عزي يجد بأن الجديد في النظرية هو أن العملية التعليمية في حقل علوم الإعلام والاتصال لا تتوقف عند حدود المعرفة العلمية فحسب؛ بل الجانب التربوي في النظرية يبدو واضحاً وجلياً. فالنظرية لا تقوم بنقل المحتوى العلمي والمعرفي للطلبة وإنما ينبغي أن يشكل الأستاذ المؤطر الذي يحصل شرف تلقين أو تدريس طلبته مناظير وأبعاد هذه النظرية؛ أن يكون أداة للقيمة الإعلامية من خلال آرائه وتوجيهاته وسلوكياته أيضاً. وتسهم نظرية الحتمية القيمية في الإعلام في تنمية ثقة الدارسين بذاتهم الحضارية وبناء شخصياتهم وأفكارهم وأن يكونوا أكثر قدرة على طرح المبادرات من منطلق ما ينبغي أن يكون وليس من خلال ما هو كائن الذي قد لا يشكل خلفية للنظرية، لأن الواقع متردي وعلى غير ما يرام.

أما فهم واستيعاب تفاصيل النظرية فهو يجر حتماً القارئ إلى قضاء بعض الوقت - قد يكون طويلاً - في قراءة كتابات البروفسور عبد الرحمن عزي والاحتكاك بأفكاره منذ منتصف الثمانينيات وإلى غاية الآن. وقد اتضح بأن هذه النظرية عبارة عن كتلة متكاملة، أي أنها تقوم على مبدأ « الكلية » وليس على مبدأ « الجزئية » فهذا المبدأ الأخير قد يساعد على الفهم الجزئي لكتابات صاحب النظرية ولكنه لا يساعد على فهم واستيعاب النظرية كنسق كلي متكامل.

يمكن اعتبار الفصل الأول من هذا الكتاب واجهة عامة للدخول إلى نظرية الحتمية القيمية في الإعلام وذلك من خلال التعريف بالنظرية ومعرفة سياقها التاريخي ( مرحلة تأسيس النظرية، مرحلة الانتشار، مرحلة توليد المفاهيم الجديدة ثم مرحلة تقديم شخصيات في الفكر القيمي المعاصر مالك بن نبي، الحسين الورتلاني ، بديع الزمان النورسي والشخصية الصينية صن تسو).

يتضمن الفصل الثاني مبادئ نظرية الحتمية القيمة في الإعلام من حيث الأسس أو المصادر ( القرآن الكريم والحديث، أي النص القرآني والنبوي ، ونصوص التجديد في التراث: الغزالي وابن القيم الجوزية وابن خلدون الذي يمثل خلفية اجتماعية للنظرية، ومالك بن نبي كخلفية حضارية). أما الخلفية الغربية لنظرية الحتمية القيمة في الإعلام فتتمثل في أدوات النظريات الفكرية والاجتماعية الغربية المعروفة بتسمية الفكر الاجتماعي المعاصر في القرن العشرين خاصة: الظاهرية، التفاعلية الرمزية، البنوية والتأويلية النقدية. يتضمن الفصل الثالث علاقة نظرية الحتمية القيمة في الإعلام بالنظريات الأخرى في علوم الإعلام والاتصال ( المشكلة وغير المشكلة ): الإعلام الإسلامي، التنمية والتحديث والمسئولية الاجتماعية ، كما يتضمن هذا الفصل حدود الوصل والفصل بين الحتمية القيمة في الإعلام وأسلمة المعرفة، ونقاط التقارب و /أو التباعد بين النظرية والأطروحات التأصيلية. مع الإشارة أن نظرية الحتمية القيمة في الإعلام قد تلتقي مع كل هذه الأطروحات والنظريات والمقاربات على بعض المستويات المنطقية والواقعية ولكن قد تفرق عنها على مستوى منظورها للقيمة.

يتضمن الفصل الرابع إسهامات الباحثين الأوائل في تطوير النظرية ودفعها إلى الأمام، فعدد المساهمين في النظرية وصل إلى حد الآن إلى أزيد من عشرين باحث وأستاذ جامعي من عدة أقطار عربية، ويلتقي هؤلاء الأساتذة عند القيمة ( مصدرها الدين ) كمنطلق وكمرجعية ومركز رؤية في دراسة الظاهرة الإعلامية ماضيا وحاضرا، مشكلين بذلك مدرسة جديدة في علوم الإعلام تسعى هذه المدرسة إلى تطوير نظرية الحتمية القيمة البديل الحضاري للمجتمع الذي ننتمي إليه.

يشير الفصل الخامس إلى النظرية في اللغات الأخرى، حيث بدأت تسجل حضورها في اللغتين الفرنسية والإنجليزية من خلال دراستين اعتمدتا المنهج المقارن بين الحتمية التكنولوجية المنتسبة ل: ماكلوهان، والحتمية القيمة المنتسبة ل: عزي عبد الرحمن. وهناك مشروع قادم من أجل تسجيل حضورها بشكل بارز في اللغة الإنجليزية.

وفي الأخير، يدعو صاحب النظرية من خلال سلسلة « دعوة إلى فهم » التي دأبت الدار المتوسطة على نشرها إلى فهم هذه المرة نظرية الحتمية القيمية ومحاولة تجلية وجهها المشرق المضيء، وحسبي أنها خطوة على طريق فهم واستيعاب كلي للنظرية.

### المطلب الثالث: تقييم النظرية وموقعها المعرفي.

تمثل هذه النظرية استجابة منطقية وواقعية لما يعانيه البحث العلمي في مجال الإعلام والاتصال من انسداد معرفي يمثله مرحلة الفراغ في تطوير النظريات، حيث أصبحنا حبيسيّ التراكمات المعرفية القديمة وعدم تفاعلها مع التجليات المعاصرة في شتى المجالات. وفي هذا المجال المتجدد يقول الدكتور عبد الرحمن عزي: «إن النهج الذي نسلكه في هذا الطرح غير مألوف في الأبحاث الإعلامية إلا ما ندر، وقد اعتمدنا على منهج تأملي تأويلي انطلاقاً من بعض معالم تراثنا على سبيل الاجتهاد لا النقل، فهذا التناول هو بناء نظري أساساً، أما تجلياته فمن الواقع المعيش». حيث أصبحنا ندرس في الكثير من الحالات تاريخ العلوم لا العلوم، وحتى فلسفة العلوم مازلنا عالة على الفلسفات العتيقة.

سبب ذلك يرجع إلى:

❖ غياب روح المبادرة والتجديد.

❖ غياب مؤسسات تتبنى المبادرات النادرة، إذ اعتقد أن نظرية صراع الحضارات

لم تكن لترى النور ولا لصاحبها أي يشتهر إلا بعد تبني المؤسسات الأمريكية والغربية لهما، وفي المقابل نجد كتابات مالك بن نبي التي تشمل على نظريات نفسية واجتماعية وسياسية وحضارية رائدة حبيسة تفاعلات فردية لا غير.

إلى هذا الحد الفاصل جاءت نظرية الحتمية القيمة لتؤسس لمرحلة جديدة ومشرقة يكون فيها الاتصال حاملاً للقيم الثقافية والروحية التي تدفع بالإنسان والمجتمع إلى الارتقاء والسمو وهو ما ينعكس إيجاباً على محيط الإنسان المعنوي والمادي سواء على المستوى المحلي أو الدولي.»

## أولاً: المفاهيم في المنظومة المعرفية للمنظر.

الأمر الذي لا مراء فيه أن اكتشاف المفاهيم المنبثقة عن المنظومة المعرفية للمفكر الجزائري عبد الرحمن عزي و الفهم الصحيح لها يشكل نقطة أساسية في فهم نظريته نظرا إلى أن هذه الأخيرة العاكس الأول لأسسه الفكرية و براهينه و مراميه ، و قبل الاستهلال في وصف الخطاب الاعلامي لعبد الرحمن عزي يقد الباحث نصير بوعلي: أستاذ بجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، قراءة استكشافية لأبعاد هذه الأخيرة و التي تعتمد أساسا على التضاد الثنائي في النقاط التالية:

• هناك تعارض كامل بين كتلتين ثقافيتين، كتلة ثقافة المجتمع الإسلامي وكتلة المجتمع الغربي.

• هناك تعارض كامل بين حقيقتين ، حقيقة الوجود المادي و حقيقة الوجود المعنوي.

• هناك تعارض بين فكرتين و تصورين : الأنا و الآخر و يتمثل هذا التعارض في : الاستقلال أو التبعية؛إثبات الاصيل أو فتح النوافذ «دون فحص» لكل ماهو دخيل ، و هذا التضاد الثنائي ينبغي أن يكون واضحا.

والمهمة الاساسية لتفسير المنظومة الاعلامية والاتصالية يقول نصير بوعلي في المجتمع الذي ينتمي اليه [الواقع الاسلامي] تتمثل أساسا في تغيير المفاهيم من حيث العمق وليس استبدالها بمترادفات لا تعبر عن تحول حقيقي، فالواقع الاسلامي يصطدم مع المنظومة المستوردة من الآخر و لعل مفاهيم عزي عبد الرحمن كما يذهب اليه نصير بوعلي تمثل في النهاية رموزا تشير إلى منظومته الاعلامية و الاتصالية الخاصة المستقلة قيميا عن الآخر.

ثانيا: مفهوم الثقافة عند المفكر عبد الرحمن عزي.

من منظوره فإن الثقافة عبارة عن سلم من القيم تسمو أو تدنو وفق العلاقة مع القيمة، كما أن الثقافة في أصلها ظاهرة دينية أخذت بعدا اجتماعيا بالممارسة، أمّا العلاقة مع القيمة الدينية الأصلية اقترابا منها أو ابتعادا عنها، و من منظوره أيضا فان الجانب المعنوي من الثقافة يمكن أن يدرس كمجال مستقل وفي العلاقة مع القيمة. يتعامل عبد الرحمن عزي مع كل مفاهيم الثقافة القديمة والحديثة و يقوم بحصر جميع المفردات و يحللها و فق المنظور المعياري كما يلي حسب-قراءة نصير بوعلي لنظرية المفكر الجزائري-

إنّ الثقافة هي:

-العادات، التقاليد، المعتقدات، الحرف والصناعات، الحضارة، الطقوس، الفلكلور، الأساطير، أنماط الحياة، الفنون، المنتجات المادية، العمران... كل هذه المفردات فاهيم قديمة و حديثة للثقافة فيقوم باختزال هذه المفردات و يعتبرها متداخلة ليست حصرية فالعادات تشمل التقاليد و الحضارة و تتضمن العمران، و الطقوس هي أنماط الحياة، و الفنون تتضمن الفلكلور أيضا.

كما أن هذه المفردات ليست مرتبطة وفق نظام الاولويات ، فهل الحضارة في ميزان واحد مع الأساطير على سبيل المثال .

من جهة أخرى فان هذه المفردات تبتعد عن الأحكام القيمية و هي تقوم في ذلك على مبدأ يقول « لكل مجتمع ثقافته »، كما أنّ هذه المفردات تستثني وسائل الاتصال كجزء من الثقافة.

انطلاقاً مما سبق يعرف عبد الرحمن عزي الثقافة بأنها معايشة الواقع انطلاقاً من القيم ويكون النشاط العقلي للإنسان وسيلة لتحقيق الترابط بين القيمة والسلوك.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup>-نصير بوعلي، الاعلام والقيم، قراءة في نظرية المفكر الجزائري عبد الرحمن عزي، دار الهدى، هين مليلة، الجزائر، 2005، ص 23-27.

### ثالثاً: مفهوم الرأي العام عند الأكاديمي عبد الرحمن عزي.

يرى عبد الرحمن عزي أن مفهوم الرأي العام ليس فيه الكثير من تراث الأنا على اعتبار انه ارتبط تاريخياً بتجربة المجتمع الغربي ابتداءً أنت الفترة المسماة فترة النهضة في أوروبا في أواخر القرن الخامس عشر للميلاد.

ولأن مفهوم الرأي العام كما هو في السياق الغربي مرتبط بمتغيرات تتمثل في تقلص ظاهرة الأمية و انتشار التعليم و المشاركة السياسية ، الأمر الذي جعل الناس في هذه المجتمعات تطالب بالأخذ برأيها اعلامياً و سياسياً ، هنا يُطرح السؤال كما يذهب إليه نصير بوعلي عما إذا كانت هذه المتغيرات حاضرة في المجتمعات الإسلامية في الوقت الحاضر. فعبد الرحمن عزي يرى أن: الدعوة إلى إعادة النظر في المفهوم و تقديم البديل = المخيال الإعلامي أو المخيال والوجدان الجمعي.

يحرص المُنظِّرُ في استبداله لمفهوم الرأي العام بمفهوم المخيال الإعلامي على جعل الجمهور العربي و الإسلامي و العالم النامي معاصراً لنفسه على صعيد الفهم و المعقولية ، و لأن الواقع العربي متعدد ( منغلق و متفتح ) فهذا المفهوم هو أيضاً كذلك ، أي المخيال الإعلامي المجدد.<sup>1</sup>

#### 1- مفهوم العولمة عند عزي عبد الرحمن:

إن المتأمل للعبارات الآتية لعبد الرحمن عزي « ... ينذر تفجير الظاهرة المعلوماتية الاتصالية بتقلص ثقافات إفريقيا و آسيا و أمريكا اللاتينية و العالم الإسلامي و انحصارها في شكل كيانات فلكورية هشة لا مكانة لها في المسار التاريخي و البناء الحضاري ... و تنذر هذه الثورة الاتصالية التي لم تعد تتقيد بعوائق الوقت و الجغرافيا بتحول العالم الم ما سماه « ماك لوهان » وحدة القبلية ، أو قرية واحدة . و تتضح له كما يذهب نصير بوعلي إلى ان

<sup>1</sup> - نصير بوعلي، الإعلام القيم، مرجع سبق ذكره، ص 29.

الاستاذ عزي عبد الرجمان من خلال أبحاثه لَمَّح بإشارات استشرافية إلى ما سماه «أخطبوطا آت لا محالة و هو ظاهرة العولمة» و يقول: « ان البصمة الاستشرافية دائما حاضرة في دراسات عبد الرحمن عزي فقد اشار بطريقة غير مباشرة إلى الصراع القادم والذي يتجسد الآن سياسيا و ايدلوجيا وحضاريا وحربيا بين الولايات المتحدة الامريكية وبعض الأجزاء من العالم الإسلامي.

ومن هنا لابد من الاشارة إلى أن العلامة عبد الرحمن عزي تحدث عن العولمة كظاهرة و ليس كمفهوم ، و حالة العولمة هي تلك الظاهرة التي يعيشها الناس في الأرض كلها من التواصل اليومي و الآني بعضهم ببعض.<sup>1</sup>

## 2-الاعلام والفكر لدى عبد الرحمن عزي.

تتعدد موارد التأصيل و التأسيس لإعلام الفكرة لدى عبد الرحمن عزي إلا أن من أهمها:

1. القيمة كمرجعية و مرتكز و مركز رؤية.

2-الاهتمام بالتراث العربي الإسلامي على سبيل الاجتهاد، لا النقل

3-معرفة الآخر . الغرب عموما . فكرا و لغة ومنهجيا.

4-معرفة معطيات العصر و خاصة في مجال الاتصال و المعلوماتية من خلال المعيار والمقياس الذي يمنحه اياه بعده الفكري للظاهرة الاعلامية ، وهذه الموارد يقول نصير بوعلي هي التي تؤسس لإعلام الفكرة لدى عبد الرحمن عزي و هي التي تعمل على بلورة نظرية للإعلام.

لعل إعادته الظاهرة للمورد الاول . القيمة . والذي يعد من أبرز محاور أطروحته أحسن دليل على ذلك ، بالإضافة إلى عودته المتكررة لكتاب « القرآن الكريم » كمصدر لموضوع

<sup>1</sup>- نصير بوعلي،الإعلام القيم، مصدر سبق ذكره، ص 36.

الاعلام اثبات للمورد الثاني. من هذا المنطلق يمكن اعتبار إعلام الفكرة عند عزي عبد الرحمن يتكون في الموضوعية ويتجسد في العلمية و يتركز على الذاتية ، و إن مرتكزات البعد الفكري لديه تتمثل في الشمولية في الرؤية، التفكير في المعاني، الإحاطة بمعاني الشيء ، الوعي المطلوب، استخدام العقل لإدراك الغايات وأخيرا الارتكاز إلى القيمة (القيم).<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup>-المصدر نفسه، ص 16 - 18

ثالثاً: مدخل إلى نظرية الحتمية القيمية للإعلام.

## 1- خلفية فكرية لنظرية الحتمية القيمية للإعلام.

إن اهتمام عزي عبد الرحمن بالمنظور الاجتماعي « الفلسفي » في دراسة الاتصال كظاهرة ذات أبعاد متعددة يعود إلى اهتمامه بالفكر الاجتماعي والفلسفي المعاصر. وقد ساعده هذا الفكر على استيعاب ظاهرة الاتصال بمختلف تجلياتها، وإن احتكاكه بإتباع بعض النظريات في أمريكا كما ذكرنا في بداية البحث أزال عليه الغموض. فكتب عن الظاهرة الاتصالية الإعلامية انطلاقاً من بعده الحضاري وبالاستناد إلى الفكر الاجتماعي المعاصر ، فقام بالبحث في التراث إلى إن جاء ميلاد هذه النظرية الاتصالية القيمية التي تتميز ثقافياً وحضارياً عن النظريات الأخرى من دون أن تلغيها بل بالعكس تساعد على فهمها فهما صحيحاً.

و إذا كان أصحاب نظريات الاتصال السابقة اهتموا بالأثر أو التأثير الذي تحدثه وسائل الاتصال ، فإن نظرية عبد الرحمن عزي يصب جزءاً منها في هذا الإطار و من هذا المنطلق فدراسة الأثر لا يتم في منظوره من دون مرجعية تربط محتويات وسائل الاعلام بالقيمة . وقد استخدم الأستاذ عزي عبد الرحمن أداة منهجية من الفكر الاجتماعي البنوي في الكشف عن هذه التأثيرات الايجابية أو السلبية وهي أداة التضاد الثنائي والتي ترى أن الايجابي لا يفهم إلا عند مقابلته بالسلبى. فتعزيز القيم يقابله تحييد القيم، توسيع دائرة الاستفادة من الثقافة يقابلها تبسيط وتشويه الثقافة، تحقيق الانسجام وتعزيز الترابط الاجتماعي يقابلها أضعاف نسيج الاتصال الاجتماعي، ونقد الذات وتغييرها يقابلها منع الفرد من نقد ذاته وتغييرها.

و الأمر الجدير بالذكر أن نظرية الحتمية القيمية الإعلامية تتعايش مع النظريات الاعلامية الأخرى على بعض المستويات الواقعية و المنطقية، و لكنها تتفصل عنها على مستوى القيمة [ من كلام عزي عبد الرحمن حسب نصير بوعلي] و اذا كانت المرجعية الاجتماعية

مصدر قوة نظريات الاتصال الغربية فان المرجعية القيمية تشكل ثقل نظرية عزي عبد الرحمن.<sup>1</sup>

## 2-مراحل تطور مسمى النظرية.

في مناظرة حول نظرية الحتمية القيمية قدمها الطالب محمد هاشم الكريم بمعية الدكتور نصير بوعلي تم التطرق إلى قضية مسمى النظرية و الذي يقول الباحث نصير بوعلي في صده : « في الأصل الدكتور عبد الرحمن عزي هو الذي أطلق عليها هذه التسمية مجازيا «الحتمية النظرية القيمية» في كتابه دراسات في نظرية الاتصال نحو فكر إعلامي متميز ، و بعد ذلك أطلقت عليها أنا تسمية «الحتمية القيمية الإعلامية» لتسهيل الفكرة وربطها بالإعلام مباشرة وذكرت ذلك في مقدمة كتابي «الإعلام والقيم قراءة في نظرية المفكر الجزائري عبد الرحمن عزي» ، وأطلقت الباحثة «عزوز هند» من جامعة باتنة مسمى «الحتمية القيمية» على النظرية في دراستها الأخيرة عن أهمية النظرية ، مبرراتها ومقتضياتها والمسمى الحالي للنظرية «الحتمية القيمية الإعلامية» يتكامل مع المسمى الأصلي للدكتور عزي عبد الرحمن «الحتمية النظرية القيمية» .فالمسمى الحالي يعكس الواقع « المسجد » أما المسمى الأصلي «الحتمية النظرية القيمية» فهو يعكس ما ينبغي أن يكون عليه الواقع ، أي النظرية وهي على مستوى المخيال المجرد.<sup>2</sup>

### 3-أهمية النظرية في حقل علوم الاعلام والاتصال والبنية القيمية.

نظرية الحتمية القيمية ذات أهمية بالغة في الأبحاث الإعلامية حيث أنها حاولت تخطي الخلل النظري في النظريات الغربية التي تدرس فقط الجانب المحسوس، وهذا لا يعبر عن الواقع كما هو بل يعبر عن جزء من هذا الواقع وبالتالي تكون النتائج جزئية كما أن نظرية

---

<sup>1</sup>-اعتمدنا في هذا الهامش على مناظرة حول الحتمية القيمية في الاعلام بين الأستاذ نصير بوعلي و الطالب محمد هاشم الكريم ، مأخوذة من شبكة الانترنت.

<sup>2</sup>-نصير بوعلي، الإعلام والقيم، مصدر سبق ذكره، ص 39.

الحتمية القيمية حاولت تحديد الأسس النظرية لدراسة أثر وسائل الإعلام عبر محدد واحد وهو الرسالة الإعلامية وارتباطها بالقيم.<sup>1</sup>

من جهة أخرى يذهب الباحث « السعيد بومعيزة » إلى أن نظرية المفكر الجزائري عبد الرحمن عزي على درجة كبيرة من الأهمية لأنها تجعل من القيم متغيرا مستقلا وليس متغيرا تابعا ، و بالتالي يقول الباحث : « توضع هذه النظرية في مصاف تنظير المفكرين الكبار أمثال ماكس فيبر الذي حاول شرح تطور الرأسمالية الغربية انطلاقا من الدور الذي تلعبه القيم الدينية البروتستانتية» وفي سياق آخر يشير السعيد بومعيزة إلى أن أهمية نظرية الحتمية القيمية تبرز في قدرتها على مساعدتنا في فهم أزمة البنية القيمية في المجتمع الإنساني ككل.<sup>2</sup>

#### 4- نظرة تعريفية وصفية لأهم فروض نظرية الحتمية القيمية أ- عبد الرحمن عزي « الرسالة هي القيم»

إن القارئ والمتمعن في دراسات و أبحاث المفكر الجزائري عبد الرحمن عزي يجد هذا الهاجس الجوهرى المركزى [ الرسالة هي القيم ] أي أن يكون الاتصال دائما حاملا للقيم الثقافية والروحية التي تدفع بالإنسان والمجتمع إلى التقدم. وإذا كان ماك لوهان في مقولته ~ الوسيلة هي الرسالة ~ يعني مجتمع الحاضر فان عبد الرحمن عزي من خلال مقولته ~ الرسالة هي القيم ~ حسب ما توصل اليه الباحث نصير بوعلي من خلال التمعن في اطروحات العلامة يرنو بها إلى المستقبل، أي ما ينبغي أن يكون عليه الاعلام في كتلة المجتمع الاسلامي و غير الاسلامي ، وأن يكون الاتصال نابعا

<sup>1</sup>-السعيد بومعيزة، لماذا نهتم بدراسة القيم ؟، مأخوذ من موقع النظرية الحتمية القيمية،

<https://sites.google.com/site/valuemediadeterminismtheory> .

<sup>2</sup>-المرجع نفسه.

و منبثقا من الابعاد الثقافية و الحضارية التي ينتمي اليها المجتمع فالرسالة تكون هادفة نافعة اذا ما تمت في اطار أو تصور أو فكر أو انتماء.

ويفهم من هذا الكلام أن القيمة حتمية ضرورية عند دراسة الاعلام و كلما اقترنت القيمة بالإعلام كلما كان التأثير ايجابيا على المجتمع و كلما ابتعد الاعلام عن القيمة أو تناقض معها و كلما كان التأثير سلبيا.

يقول عبد الرحمن عزي أن القيمة تؤسس الانسان و لا يكون هذا الأخير مصدر القيمة بل أداة لها {أي تجسد فيه القيمة}.

والجدير بالذكر أن هذه المقولة « الرسالة هي القيم » لم يعلن عزي عبد الرحمن بشكل مباشر كما فعل ماك لوهان [ حسب الأستاذ نصير بوعلي دائما ].  
ب- / الاثر الاعلامي ونظام القيم.

إن الجديد في نظرية عزي عبد الرحمن هو تقسيمه للتأثير إلى تأثيرات ايجابية و أخرى سلبية على غرار ما هو معروف في الدراسات الامبريقية من تأثيرات كامنة و أخرى ظاهرة، مباشرة، غير مباشرة، تأثيرات على المدى القصيرة و أخرى على المدى البعيد. وتتضمن تأثيرات محتويات وسائل الاعلام الايجابية في منظوره ما يلي: تعزيز القيم، التنشئة الاجتماعية ، توسيع دائرة الاستفادة من الثقافة ، الوعي بالعالم الخارجي، أو توسيع المحيط، النظر من زاوية خارجية، معايشة عوالم متعددة ، تحمل الانسان عبر الزمان و المكان، الاشباع، الترفيه، نقد الذات وتغييرها، الإعلام والتفسير والتحليل. أما السلبية فهي : تحييد القيم، تبسيط وتشويه الثقافة ، تضيق المحيط ، تقليص المحلي وتوسيع العالمي، إضعاف نسيج الاتصال الاجتماعي ، اضعاف دور قادة الرأي و الفكر، تقمص أدوار النجوم.

وقد استخدم عبد الرحمن عزي أداة التضاد الثنائي و التي ترى ان الايجابي لا يفهم الا عند مقابلته بالسلبى كما سبق أن ذكرنا الله بها .

### ج- نحو ربط ثقافة الحواس بالقيم.

إن التحليل الذي قدمه عبد الرحمن عزي في قراءته الايستمولوجية في تكنولوجيا الاتصال يحيل المتمعن الوقوف أمام معرفته الكاملة بالموضوع . أي بوصفها نظرية في علوم الاعلام والاتصال مبنية على : تكنولوجيا الحواس، وهي في الاصل معرفة انسانية و لذلك يمكن فعلا فهم العالم الذي من حولنا من خلال الحواس، ويمكن معرفة تطور البشرية من خلال وظيفة الحواس في الإنسان أيضا. ويقول نصير بوعلي أن الغاية والمقصد من تفسير عزي عبد الرحمن للإعلام حواسيا هو أولا التنبيه إلى العلاقة الترابطية بين العالم والمعلوم أي بين العارف وغيره ، كما يقصد بها التنبيه إلى مخاطر تجزأ الانسان.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup>-نصير بوعلي،مرجع سبق ذكره، ص 48 ، 45.

## الفصل الرابع:

فلسفة التواصل عند طه عبد الرحمن

# المبحث الأول:

مفهوم التواصل ونماذجه عند طه عبد

الرحمن.

## المطلب الأول: ترجمة طه عبد الرحمن.

طه عبد الرحمن من مواليد نواحي مدينة الجديدة-المغرب سنة 1944، تلقى الدراسة الابتدائية والثانوية والإجازة في الفلسفة بالمغرب، وأكمل الدراسة الجامعية العليا بجامعة السربون بفرنسا؛ بحيث حصل على دكتوريتين؛ الأولى متعلقة بفلسفة اللغة، وهي بعنوان: اللغة والفلسفة: رسالة في البنيات اللغوية لمبحث الوجود، وهي منشورة بالفرنسية سنة 1979. والثانية متعلقة بالمنطق، وهي بعنوان: رسالة في منطق الاستدلال الحجاجي والطبيعي ونماذجه. ومنذ سنة 1970، بدأ التدريس في الجامعة المغربية، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تدريس مناهج المنطق وفلسفة اللغة، إلا أنه وجد صعوبات شتى في ترسيخ تدريس علم المنطق الحديث داخل الجامعة، الأمر الذي جعله يجتهد أكثر في سبيل تعريبه ووضع الكثير من مصطلحاته، لتأسيس أرضيته؛ لذلك كان اجتهاده في هذا الباب يتحدّد بالإتيان بمنطق، كما يقول: «لا نكون معه مقلدين ولا ناقلين ولا شارحين»، بل يقوم على «اختراع مفاهيم، وتوليد مصطلحات، وبيان لفروق، وإنشاء لدعاوى، وصوغ لمبادئ، ووضع لقواعد، وترتيب لقوانين، وتداول على مسائل، واستخلاص لنتائج، وتصحيح لآراء، وإيراد لشبه» ونحو ذلك. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، فيكون بذلك الاختصاص الطهائي يتعلّق بفلسفة المنطق وفلسفة اللغة، أو المنطقيات والعقلانيات، وبالأخصّ العلاقات بين المنطقيات واللسانيات. الأمر الذي جعله يناظر -معتزلاً ومنقداً- كبار المناطق؛ سواء في تاريخ الفكر الإسلامي، أو في فضاء الفكر الغربي، من ذلك أنه اجتهد في تجديد الصلات بين المنطق والأصول؛ بحيث جعل علم الأصول جزءاً من علم المنطق، فضلاً عن أنه جعل البناء النسقي الفلسفي قائماً على الدين، عكس سائد الفكر الحدائثي الغربي ومقلديه. ونظراً لباعه الإبداعي في مجالات اجتهاده -المنطق، الفلسفة، اللغة- أصبح زائراً في عدّة جامعات عربية، فضلاً عن عضويته في العديد من الجمعيات والمنظمات الفلسفية والمنطقية واللغوية العالمية. طه عبد الرحمن، وإن كان متقناً للغة العربية والفرنسية والإنجليزية، إلا أنه عكس أترابه، إذ تجد أن

أغلب تأليفه باللغة العربية. كانت المرحلة الأولى للكتابة في حياة طه عبد الرحمن متعلّقة بالشعر، إلا أنه عقب هزيمة 1967، تحوّل من الكتابة الشعرية إلى الكتابة الفكرية، ناظرًا في ماهية العقل المنهزم والمنتصر على حدّ سواء. إن طه عبد الرحمن، نظير غيره من المفكرين المعاصرين، جعل من هذا (الحدث التاريخي الإنساني) سبب التحول من الكتابة الأدبية الشعرية إلى الكتابة الفكرية الفلسفية. الحوار أفقًا للفكر، ثم تحول من فضاء الفكر، إلى فضاء التجربة الروحية، دامجًا له في بيان حدود (العقل المجرد)، وكاشفًا عن كمالات (العقل المسدد). الحوار أفقًا للفكر. والناظم الكلي للاجتهااد الطهائي، هو تحقيق (الإبداع) والتحرّر من (التقليد) وفق (الخصوصية التداولية)، باجتراح آليات الخروج من (المعهود) ببرهنة عقلية وليس بتشهي تحكمي. وقد بلغ عنده أمر (الإبداع) في مواضيع نظره، كما يقول: حدّ الهوس<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup>-كمال عبد اللطيف، أسئلة الفكر الفلسفي في المغرب، المركز الثقافي العربي، 2003، بيروت، ص 133.

المطلب الثاني: مفهوم التواصل عند طه عبد الرحمن.

أولاً: معنى التواصل عند طه عبد الرحمن.

يدل التواصل على معان ثلاثة متميزة فيما بينها، أحدها نقل الخبر، ويسمى هذا النقل بالوصل، والثاني، نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم، ويطلق عليه اسم الإيصال، والثالث، نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم ومقصده الذي هو المستمع معاً، وهذا ما يصطلح على تسميته بالاتصال<sup>1</sup>

ثانياً: نماذج التواصل عند طه عبد الرحمن.

قسم طه عبد الرحمن النماذج التواصلية للحجاج ثلاثة إلى أقسام وجعلها على شكل نماذج وهي:

1- النموذج الوصلي: يجرّد الحجاج من الفعالية الخطابية بمحو آثار المتكلم والمستمع وبإظهار المضمرات الخطابية.

2- النموذج الإيصالي: يشغل دور المتكلم في الفعالية الخطابية فيركز على القصدية من جهة ارتباطها باللغة ومن جهة تكونها من طبقات قصدية متفاوتة.

3- النموذج الإتصالي: يشغل دور المتكلم والمستمع معاً في الفعالية الخطابية فيركز على علاقة التفاعل الخطابي، مبرزاً أهمية التزاوج القصدية والوظيفي والسياقي ودور الممارسة الحية التي تتبني على الأخذ بالمعاني المجازية والقيم الأخلاقية مستندا في ذلك إلى نظرية الحوار مع تطويرها.<sup>2</sup>

<sup>1</sup>- طه عبد الرحمن، التواصل والحجاج، درس افتتاحي للسنة الجامعية 1993-1994، كلية العلوم والآداب والعلوم

الإنسانية بأكادير، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1994، ص، 5.

<sup>2</sup>- طه عبد الرحمن، التواصل والحجاج، كلية الآداب والعلوم الإنسانية-الرباط-مطبعة المعارف الجديدة، ط 2، ص 22-

## المبحث الثاني:

ظه عبد الرحمن والمقاربة الائتمانية.

## المطلب الأول: مفهوم المقاربة الائتمانية.

يعتبر الفيلسوف طه عبد الرحمن من المجددين في مجال الفلسفة الأخلاقية، إن لم نقل أنه من المؤسسين، فقد وضع مصطلحات جديدة ونحت مصطلحات قديمة وقارب بين مفاهيم كانت موجودة كما أعطى مفاهيم لمسميات لم تكن معروفة، ولعل ما جعل فكره يتأسس في الأوساط الفكرية؛ ربطه الفلسفة بالدين وبالذات الأخلاق من وجهة نظر إسلامية، وهذا ما سنحاول جمعه وعرضه في العناصر المقبلة، ولعل ما سنقوم به هنا أمر يبدو بسيطاً لكنه بالأهمية بمكان، حيث سيكون سهلاً على من يطلع عليها فهم المصطلحات وكيفية تطبيقها إلى أن وصلت إلى ما هي عليه.

### أولاً: بعض المصطلحات التي يستخدمها طه عبد الرحمن.

**1- الفلسفة الائتمانية:** من أهم المداخل المنهجية والمعرفية التي يعتمد عليها طه عبد الرحمن في سبيل التأسيس الحداثي لقراءة آيات النصّ القرآني وغيره من مواضيع النظر التأسيسي في «الفلسفة الائتمانية» بهذا الاعتبار، ليست مجرد فكرة أو منظور جزئي ذري عابر أو مُلقى على الغارب، وإنما هي عبارة عن منهج مقرر ورؤية ناظمة محدّدة لمنهجية النظر ومعرفية العمل معاً.<sup>1</sup> فالفلسفة الائتمانية عند طه عبد الرحمن قائمة في الأصل على قيمة الأمانة ومبدأ الائتمان بشرط الاختيار، فهي ذات وجهين؛ وجه تعبدية ووجه تدبيري، وقد يجتمعان في: التعبد التدبيري.

**2- الأمانة عند طه عبد الرحمن:** لها وجهان يختلفان باختلاف النظر إليها؛ فإذا تم النظر إليها من حيث تعلقها بالعالم الغيبي، الذي طوره هو فوق طور العقل المجرد؛ سميت تعبدًا، وإذا تم النظر إليها من حيث تعلقها بالعالم المرئي، الذي طوره هو طور العقل المستقل؛ سميت تدبيرًا، فهي بهذا الاعتبار النظري تقيد أن الإنسان «تحمل حفظ الأحكام الإلهية لا

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن، بؤس الدهرانية، النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، القاهرة، الدار البيضاء، الرياض، المكتب الرئيسي بيروت، ط 2، 2014، ص 19.

في ظواهرها كأوامر» فحسب، وإنما «في بواطنها كشواهد» أيضًا؛ سعيًا نحو توسيع الوجود إلى أقصى مدى ممكن حسب الجهد المبذول المتواصل اجتهادًا وجهادًا.<sup>1</sup>

إنّ الأمانة في الإسلام كما يرى طه عبد الرحمن، مجالات التفكير فيها واسعة، بالنظر إلى أن المسؤولية الائتمانية هي ذات أصل ملكوتي، حصلت بمقتضى ميثاق مخصوص، فهي تتسع بالتّبع لكلّ شيء يقع في أفق الإنسان من الموجودات، أو يدخل في إمكانه من المفعولات، وذلك بحكم خاتمية نصّها المؤسّس<sup>2</sup>

**3- النظرية الائتمانية:** أو ائتمانية القيم الأخلاقية، وهي نفسها الفلسفة الائتمانية تقريبًا، باعتبار المبدأ الذي تتبني عليه، وهو مبدأ الائتمان، وهو عبارة عن علاقة بالأشياء تُضاد علاقة النسبة أو الإضافة، أو علاقة الامتلاك والتملك؛ ذلك أن العلاقة بالأشياء من المنظور الائتماني ذات طبيعة روحية أخلاقية مجرّدة، تقوم على ناظم إضافة الشيء إلى مالكة الحقيقي سبحانه استخلافًا، أمّا العلاقة بها من المنظور النسبي أو الامتلاكي، فهي ذات طبيعة نفسية مادية محايدة؛ تقوم على ناظم إضافة الشيء إلى الذات تملكًا وحيازة.<sup>3</sup>

**4- الفعل الائتماني:** يقول طه عبد الرحمن أن الفعلكي يؤتى به على الوجه المطلوب، ينبغي أن يبقى، هو الآخر، موصولًا بالعالم الملكوتي، والطريق التي تحفظ صلته بهذا العالم، هو أن ينهض الفاعل بمقتضيات ميثاق الائتمان، وأحد هذه المقننات، ألا يمتلك ما استودع لديه. فالأصل هو الائتمان، والامتلاك إنما هو طارئ على عالم الملك.<sup>4</sup>

---

<sup>1</sup>- طه عبد الرحمن، روح الدين، من ضيق العلمانية الى سعة الائتمانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط2، 2012، ص449.

<sup>2</sup>- طه عبد الرحمن، ثغور المرابطة-مقاربات ائتمانية لصراعات الأمة الحالية، منشورات مركز مغارب، الرباط، ص136.

<sup>3</sup>- طه عبد الرحمن، سؤال العنف-بين الائتمانية والحوارية، المؤسسة العربية للفكر والابداع، بيروت، ط1، 2017، ص82، 83.

<sup>4</sup>- طه عبد الرحمن، سؤال العنف-بين الائتمانية والحوارية، مصدر سبق ذكره، ص82، 83.

5- الإئتمان والفلسفة الائتمانية: يرى طه عبد الرحمن أن المدلول الاستعمالي لمفهوم الائتمان، يتحدّد وفق دالتين؛ أولاهما: ائتمنه بمعنى استرعاه، وهو طلب الرعاية والرعي تعهدًا. ثانيتهما: ائتمنه بمعنى استودعه، وهو ترك الوديعة عند المؤتمن. والوديعة هي كلّ شيء محفوظ إلى حين ردّه إلى المستحفظ. فالاسترعاء يتحدّد بكونه التزامًا برعاية شيء مخصوص. والاستيداع يتحدّد بالالتزام بحفظ شيء مخصوص. وخصوصية دلالة الاستعمال للرعي والحفظ، أنهما إن تداخلا فهما لا يترادفان؛ ذلك أن الحفظ يفيد صيانة شيء ما في محلّ مخصوص إبقاءً له على حاله التي استحفظ فيها، بينما الرعي يفيد العناية بالشيء من غير اشتراطٍ لحفظه على حاله التي استرعى فيها. فيستعمل بالطبع مصطلح المسؤولية للدلالة على معنى الرعي الذي يوجبه الاسترعاء، ومصطلح المستودعية للدلالة على معنى الحفظ الذي يوجبه الاستيداع. فتكون بذلك الأمانة التي تعهد واختار الإنسان حملها بعدما وثق الله على ذلك وهو في عالم الغيب، تتفرّع إلى أمانة المسؤولية والتي شرطها الاختيار، وأمانة المستودعية وشرطها الاحتفاظ، ومن هذا الحيث، فإن ما يناقض أمانة المستودعية هو الحيازة، ذلك أنها عبارة عن علاقة ملكية تسديدية. وما يناقض أمانة المسؤولية هو الإيجار؛ فالائتمان بالطبع ليس علاقة ملك وإنما علاقة احتفاظ، ولا علاقة ملك، وإنما علاقة اختيار<sup>1</sup>.

في سياق التأسيس القرآني للفلسفة الائتمانية بوصفها فلسفة إنسانية، بيّن طه عبد الرحمن أنها تتأسس على مفهوم الأمانة الوارد في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72]. ذلك أن ميثاق أو مبدأ الائتمان حسب منطوق النصّ القرآني، يكون به الإنسان قد حملا لأمانة باختياره، وأخذ منه الميثاق على ذلك تصريحًا. وتحديد معنى الأمانة في النصّ القرآني، يقوم على ضابطين منهجيين؛ أولهما: أن يكون المعنى المعطى لها قريبًا

<sup>1</sup> - طه هبد الرحمن، ثغور المرابطة-مقاربات ائتمانية لصراعات الأمة الحالية، مصدر سبق ذكره، ص، 121-123.

من المعنى اللغوي، فهو بذلك، «الشيء الذي يؤتمن المرء على حفظه، فلا يحقّ له أن يحوزه متصرفاً فيه»، فيكون بالطبع للأمانة ضدان؛ هما: الخيانة والحيازة. ثانيهما: أن ينبني المعنى المعطى لها على نصّ قرآني، وهو في هذا السياق قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]. فتحمل الأمانة على معنى العبادة بالمعنى الواسع، التي خلق من أجلها الإنسان في العالم المرئي أو في عالم الملك. فتكون الأمانة هي العبادة، والعبادة هي حفظ القيم الأخلاقية التي تنطوي عليها الأحكام الشرعية النصية.<sup>1</sup>

### ثانياً: معالم المقاربة الائتمانية.

ينتظم المنظور الائتماني بوصفه (فلسفة إسلامية أخلاقية خالصة بانوية) في مجموعة من المبادئ الكلية، وهي حسب تنصيص طه عبد الرحمن، «مفاهيم محورية في الثقافة الإسلامية»، كونها (تعارض التصورات المعرفية الأساسية)، التي تتبني عليها الفلسفة الدهرانية الغربية بشتى تعلقاتها واتجاهاتها المجالية<sup>2</sup>، ومن أهمها:

**1- مبدأ أو ميثاق الائتمان:** بحيث إن مبدأ الائتمان به تتحدّد مسؤولية الإنسان في الكون، بدءاً بالائتمان الغيبي، وصولاً للائتمان على الائتمان، الذي هو في الأصل متفرّع عن ميثاق الائتمان، الذي هو بدوره يقوم في ناظمه الجامع على إدراك الصلاحيات العملية في الحركات الوجودية وجوداً وعدمًا<sup>3</sup>.

**2- مبدأ أو ميثاق الشهادة أو الشاهدية والتواصل الشهادي:** وهو ما عرف عن طه عبد الرحمن بالتواصل الشهادي.

وجاء التواصل الشهادي في نقد نظرية هابرماس في التواصل الاستدلالي.

<sup>1</sup> - طه هيد الرحمن، ثغور المرابطة-مقاربات ائتمانية لصراعات الأمة الحالية، منشورات مركز مغارب، مصدر سبق ذكره، ص122، 123، 201.

<sup>2</sup> - طه عبد الرحمن، بؤس الدهرانية، النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين، مصدر سبق ذكره، ص13، 14.

<sup>3</sup> - طه عبد الرحمن، دين الحياء- من الإنسان الأبتري إلى الإنسان الكوثر، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، لبنان، ط2، 2016، ج1، ص90.

وفي إطار ذلك استعمل طه عبد الرحمن جميع اشتقاقات الفعل-شهد-مثل: الشهود، الشهادة، التشهيد، الشاهدية، شاهد، مشاهدة، شهيد، تشهد، الشهاداتان، الشاهد، شهود، الشاهدين، أشهدك ما شاهدت، شهودك من إشهاده، إشهد، المشهد، المستشهد.

نظرية "التواصل الشهادي" تستند على رؤية عميقة، وفهم دقيق "للإنسان"، فهو يوجد في عالم الشهادة، ويُنوجد في عالم الغيب، فهو ظاهرة مركبة، لا تستسلم لمنطق الأحاديث، ثم إن كينونته الإنسانية، تتجاذبها نزوات "النفس" وأشواق "الروح"، فطه يميز تمييزاً بديعاً بين معني النفس والروح، فكل آفة شريرة مبعثها من الأولى، وكل آفة خيرة مبعثها من الثانية، فيعيش الإنسان بين كفتين، في كل مرة؛ إحداها راجحة أو مرجوحة.

استثمر طه هذا التصور في مناقشته لمسألة التواصل و الحوار بين الناس في "الفضاء العمومي"، فلم يكتف بنظرية التواصل الاستدلالي العقلاني، الذي حدد قيمه و شروطه هابرماس، بل زاد على ذلك، بعبقرية مذهلة في التدقيق و الاستنتاج، حيث ذهب إلى أن المُحاور الذي يتوسل بآليات الاستدلال مثلاً، في حالة ما إذا كان استدلاله خاطئاً، نقول إن هذا المُستدل أخل بموجبات العقل، و انتهى الموضوع، لكن بالنسبة للمُحاور الذي يريد التخلق بقيمة الشهادة، في حالة ما إذا كانت شهادته خاطئة، لا نقول إن شهادته باطلة، و ختمنا الحوار، بل نتصوره أنه أوقع نفسه في فضيحة أخلاقية مزلّزلة، و أول وصف نرمي به في وجهه، إنك كذاب، و تسقط عدالته.

واضح أن طه عبد الرحمن يتقصد الوصول إلى عمق أزمة التواصل بين الناس، فليس الإشكال، هو الإخلال بمقتضيات الاستدلال المنطقي، بل الإشكال الأكبر يتعلق بطبيعة "النفس البشرية"، التي تميل مع أهواء التعصب والكذب والحقد والكراهية، هذه النفس إذا ما تخلقت بقيمة "الشهادة" باعتبارها الإخبار عن معلوم مشهود بصدقه، وإشهاد الناس على أن يبلغوه صادقاً كما هو، إذا تحققت بجوهر هذه القيمة، ستتعامل مع التواصل بروح وثقافة أخرى. يبين طه عبد الرحمن أن الشاهد في محاوراته، تكون صلته بأدلتها، صلة الإيمان الوجداني، بل قد يصل إلى درجة الاعتقاد بما سيخبر به، عكس المستدل في محاوراته، أفقه هو الاقتناع

بما سيخبر به دون أن تربطه به علاقة وجدانية ملتهبة، ولذلك يقول طه: " فالشاهد يكون أحرص على صدق شهادته، من حرص المستدل على صحة دليله، لأن في ذهاب صدقها، إتلاف وجدانه، فضلا عن ذهاب عدالته، في حين أن ذهاب صحة الدليل لا يذهب بعدالة المستدل، فضلا عن أن يتلف وجدانه". إن طه عبد الرحمن؛ نعم يخلق في سماء الفلسفة الممزوجة بتساويح الروح، لكنه لا يعزل نفسه في برج سماوي، بل ينظر من سمائه إلى واقع أزمات الإنسان المعاصر أكان مسلما أم غير ذلك، وأخطر الأزمات، أن سكان العالم كسروا طول المسافات، متحدثين بابتهاج عن " القرية الصغيرة"، فتحقق لهم الاتصال، وتدفقت الأخبار والمعلومات والمعارف، لكنهم عاجزون عن إطفاء صوت المدافع والبنادق، عاجزون عن التعايش والتوافق في ظل الأمن والأمان، عاجزون عن احترام الرأي المخالف ومناقشته بأسلوب حضاري.<sup>1</sup>

بحيث إن مبدأ الشهادة به تتحدد الهوية الوجودية للإنسان في الكون، بدءًا بالشهادة، وانتهاء بما سماه طه عبد الرحمن بالشهادة على الشهادة. ومبدأ الشهادة أو ميثاق الإشهاد متفرع عن ميثاق الائتمان، الذي يقوم في الأصل على إدراك الكمالات الإلهية في العالم المرئي أي: عالم الشهادة والتي بوصفها رؤية الشيء بعين الروح والبصيرة، فهي تفيد درجة عالية من اليقين، كاليقين المتحقق برؤية الشيء بجارحة العين؛ لذلك كانت متضمنة لما سماه طه عبد الرحمن بالأمرية.

إنّ الشهادة أو الشاهدية بهذه المعاني وغيرها، تجعل الإنسان يستعيد فطرته محصلاً حقيقة هويته ومعنى وجوده، بدءًا بشهادة الإنسان في العالمين؛ المرئي والغيبى، التي يقرّ فيها بوجدانية الله تعالى وشهادة الخالق على هذه الشهادة، وانتهاءً بالشهادة على الذات والآخرين، مرورًا بالشهادة بمعنى المعاينة والحضور والإشهاد. بذلك كان مقتضى الشاهدية الإلهية الأصل

<sup>1</sup> -مصطفى بوكرن، طه عبد الرحمن.. فيلسوف التواصل الشهادي، <https://bit.ly/3C12Pse>، 2013/04/29، تم

الاطلاع عليه: 2022/03/01 على 13:46.

في كلّ تخلّق، ما دام أن الله تعالى يأمر ويرى، أي: يشهد؛ يشهد ظاهر الأعمال وباطنها، وتنتج عن ذلك نتيجتان؛

❖ **أولاهما:** أن القيم والمعاني الأخلاقية تتحوّل إلى قيم ومعانٍ جمالية؛ بمعنى أن التخلّق يتحوّل بسببها إلى تجمّل.

❖ **ثانيتها:** أن القيم الجمالية تتحوّل إلى قيم معرفية؛ بمعنى أن التجمّل يتحوّل إلى تعرّف.<sup>1</sup>

وللتأصيل لهذا المبدأ الائتماني استدللّ طه عبد الرحمن بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلْ نَشْهَدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غٰفِلِينَ (172) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ فَتُهَلِّكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (173) وَكَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: 172-174]، ومقتضى الآية أن الإنسان قد شهد في عالم الملكوت بربوبية الخالق سبحانه، فأخذ منه ميثاق الإشهاد على ذلك؛ بالنظر لخصوصية مبدأ الإشهاد، فقد كان عين الشهادة إقراراً عن عيان، على عكس علم الشهادة المتعلق بعالم الملك الذي يكون بنعت البيان، فكانت بذلك عين الشهادة إدراكاً عيانياً روحياً خالصاً، على عكس إدراك عالم الشهادة، الذي هو إدراك عيان القلب.<sup>2</sup>

**3- مبدأ التزكية وميثاق الترقى الروحي:** بحيث إنّ مبدأ التزكية به تتحدّد فاعلية الإنسان في الوجود الذاتي والغيري، بدءاً بتزكية النفس، وإسراء بها بالتخلّق، وانتهاء بعروج الروح، باعتبار أنه يصل عالم الملك بعالم الملكوت، الذي يشهد أخذ هذين الميثاقين من الإنسان. فيكون الأصل في التزكية أنها تتصل بالتنمية المعنوية للإنسان، إذ المتصف بها لا ينقطع عن طلب الأسباب للارتقاء بها إلى أرقى نسبة ممكنة، مثلها في ذلك مثل اجتهاد الإنسان في

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن، بؤس الدهرانية، النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين، مصدر سبق ذكره، ص 14، 15.

<sup>2</sup> - طه عبد الرحمن، دين الحياء، مصدر سبق ذكره، ج 1، ص 47-49.

سبيل الارتقاء بالتنمية المادية. لذلك، فإن التركيز حسب تنصيب طه عبد الرحمن لا سقف يحدّ من تشوّفها إلى مزيد من الاستكمال. ومن هذا الحيث، تعيّن على الإنسان المعاصر طلب التنمية الروحية على الأقل على قدر طلبه التنمية المادية، ليقع التوازن بين المكونات المادية والروحية للإنسان، ويتميز مبدأ التركيز عن غيره من أشكال التربية الخلقية بكونها أعلق بالمستقبل البعيد منها بالحاضر القريب؛ إذ إنها تتولى بالأساس تفجير الممكنات الأخلاقية والمكونات الروحية لدى الأفراد والجماعات، سعياً للارتقاء بإنسانيتهم التي بها يمتازون بها عن غيرهم من المخلوقات في هذا الوجود المشهود؛ بحيث إنّ الأصل فيها هو الترقية الروحية والتنمية الخلقية، ذلك أن واجب الإنسان في العالم الائتماني ليس هو أن يطلب التقدّم بنوعيه؛ المادي والروحي، بل أن يجعل التقدّم المادي تابعاً للتقدم الروحي، وإلا فلا تقدّم في إنسانية الإنسان بغير التقدّم الروحي. لذلك وصف طه عبد الرحمن التركيز الروحية أنها تربية فردية وجماعية، فهي الأقدر من غيرها على التصدي لكلّ العلل الاجتماعية، بل للآفات العالمية؛ خلقية كانت أو روحية، لاعتبارات ثلاثة؛ أولها: أنّ اتباع منهج التركيز في التربية يُخرج الفرد من التعلّق بالوجود الدنيوي الضيق، إلى أفسح وجود إمكاني. ثانيها: أن تحقيق ثورة الفرد الخلقية والروحية، بوصفها ثمرة للتفاعل داخل الجماعة يسهم في تحقيق النهوض بواجب تقدم الإنسانية جمعاء. ثالثها: أن المكونات المتحققة بالتركيز تفضي إلى طلب التنمية المعنوية أو الروحية بغير انقطاع.<sup>1</sup>

**4-مبدأ الآياتية الواصل الحي:** أو مبدأ ردّ الظواهر إلى الآيات؛ لما كان مقتضى الآياتية بدلالاتها المعنوية الكونية الكلية أن يجعل النظر يتمّ في العالم من منظار كونه مجموعة آيات، وليس مجرد ظواهر، فيكون بذلك العالم مجموعة من الآيات دين الحياء التكوينية، نظير كون الدين مجموعة من الآيات التكليفية. والآية في بعدها التكويني عند طه عبد الرحمن غير الظاهرة، نظير كون غير الملك، ذلك أن النظر في الكون يتعيّن أن يتم وفق قانون أنه آيات

<sup>1</sup> طه عبد الرحمن، بؤس الدهرانية، النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين، مصدر سبق ذكره، ص 16، 17، 18،

عظمى دالة على أن لها موجداً نصبها أمانة شاهدة عليه سبحانه تعرفاً وتقرباً، نظير كونها دالة على مجموعة من القيم الأخلاقية والمعاني الروحية تمثلاً وسرياناً، التي لا ينفذ إليها إلا صاحب البصيرة المتقدمة الحية، أو صاحب النظر الآياتي، فيكون قانون الآيات يوجب ألا تنفك عن الدلالة على الشاهد الإلهي، فيتعين حسب المنظور الائتماني أن لا يتوقف النظر عند ملاحظة الظاهرة في بعدها المادي الصرف القابل للنفاذ، كما هو منهج الأنموذج الدهراني، القائم على التصور الخارجي البراني للأشياء، وإنما يتعين اتخاذها واسطة للوصول إلى معانيها وقيمها التي لا تنفذ، كما هو منهج الأنموذج الائتماني، القائم على التصور الداخلي الجواني للأشياء التي لا ينفذ. ذلك أن الأصل كما ينص طه عبد الرحمن في النظر إلى الأشياء هو النظر الآياتي، الذي من شأنه أن يوسع آفاق النظر في العالم المنظور، واصلًا له بعالم غير منظور، والعالم غير المنظور الملازم للعالم المنظور، هو ما يسمى بعالم الملكوت، بوصفه عالم المعاني الروحية والقيم الأخلاقية. وبهذا الاعتبار فإن الأصل في وجود الظواهر هو المعاني أو القيم الآياتية، الدالة على ما وراءها من المعاني الإيمانية.<sup>1</sup>

##### 5- مبدأ الإيداعية الأخلاقي الفاعل:

بحيث إن مقتضى الإيداع جعل مطلق الأشياء التي في يد الإنسان ودائع، وهو الأمر الذي يجعل الإنسان ينسب هذه الودائع إلى بارئها وشاهدها نسبة مطلقة، وإلا فلا أقل من أن ينسبها إلى خالقها قبل أن ينسبها إلى نفسه. ونسبة الأشياء التي في يد الإنسان إلى الخالق سبحانه هي أصلها نسبة روحية، في حين نسبتها إلى الإنسان هي نسبة نفسية بالمعنى الوجودي. ويقدر ما ينسب الإنسان الأشياء إلى الخالق خلقاً، فإنه تعالينسبها إلينا فعلاً؛ لأنه تعالى عطاء كله وفيض لا ينقطع ولا ينفذ. فتكون علاقة الإنسان بالأشياء، هي علاقة من ملكه الله إياها؛ بحيث يصبح ما يملك آية تكوينية، وملكه آية تكليفية، فيفرضي به الأمر إلى أن يشهده سبحانه قبل أن يشاهد الأشياء، ويتعامل معه سبحانه قبل أن يتعامل معها، بل يتخذ التعامل معها سبيلاً إلى

<sup>1</sup> طه هيد الرحمن، ثغور المرابطة-مقاربات ائتمانية لصراعات الأمة الحالية، منشورات مركز مغارب، مصدر سبق ذكره،

التعامل معه سبحانه. وهذا التمليك الإلهي الذي يورث تخلقاً شاعدياً روحياً، هو مقتضى الإيداع، الذي هو أن تملك ما تملك لا ابتداءً، أي: بنفسك، وإنما بواسطة، أي: بخالقك الشاهد لك وعليك؛ بحيث يكون ما مَلَكَك إياه المالك الحق سبحانه عبارة عن أمانة يودعها لديك كالوديعة. والوديعة حسب تنصيب طه عبد الرحمن، هي: الشيء الذي يجعله الخالق الشاهد في حوزتك، موكلاً إليك أمر رعايته، وكلّ ما يوكل إليك الخالق رعايته، يقتضي حقوقاً لك وحقوقاً عليك، إلا أن التمتع بحقوقك فيه موقوف على أداء التي عليك بشأنه. ولا يخفى أن تقديم حقوق الوديعة على أمر التمتع بها يفضي أيضاً إلى الحدّ من نزوع الإنسان نحو اختزالها في الملك ماحياً صفتها كآية تكوينية، كما أن فيه توسيعاً لنطاق شعوره بالمسؤولية إبرازاً لصفته كآية تكليفية. ومقتضى هذا الإيداع -حسب طه عبد الرحمن- أن يورث التحقق بخلق الفتوة. لذلك، فإن هذا المبدأ الإيداعي الائتماني، من شأنه أن يسلم إلى تغيير علاقتنا بالأشياء المملوكة تغييراً جذرياً، قصد الخروج من صورة الامتلاك إلى صورة الائتمان، لتحقيق النهوض بالمسؤولية نحوه، ما دام الإنسان يتخذ الشاهد الإلهي واسطة في التعامل معها، الذي يورثه تخلقاً روحياً داخلياً يصل المتصف به إلى الأفق الأعلى، مرتقياً بذلك في مدارج الكمال الخلفي والروحي.<sup>1</sup>

## 6- مبدأ الفطرية وتوريث الخلق الشامل:

بحيث إن مقتضاه الأصلي أن الأخلاق مأخوذة من الفطرة. وأصل حقيقة نشوء الفطرة الخطاب الإلهي لأرواح الأدميين في عالم الغيب الذري الأول، عالم الإشهاد الروحي، وناظمه أن لا إله إلا هو سبحانه، هذا الناظم الذي تولى مختلف الأنبياء والرسل -عليهم السلام- نقله إلى أقوامهم في مختلف مراحل عالم الشهادة. ويلزم من ذلك حسب طه عبد الرحمن أن الفطرة والتجسيد نقيضان لا يجتمعان. والنموذج الائتماني الذي يجتهد طه عبد الرحمن في سبيل تأسيسه ينبني على أن الأخلاق الحيّة مستمدة أصلاً من الفطرة التي خلق عليها الإنسان؛ لأنها

<sup>1</sup>- طه عبد الرحمن، بؤس الدهرانية، النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين، مصدر سبق ذكره، ص 98-100.

تحفظ ذكرى شهادته للإله بالوحدانية، كما تحفظ شهادة الإله على هذه الشهادة. فكانت هذه الأخلاق التي تورثها الفطرة، انتمانية، روحية، وجوبية، أسمائية، ربانية.<sup>1</sup>

7- مبدأ الجمعية اللاحمة بين المتقابلات: بحيث إنّ الدين من منظور طه عبد الرحمن

بكليته أخلاق، وذلك لسببين:

❖ أولهما: أن إنسانية الإنسان تتحقق بالأخلاق المسددة، وليس بالعقلانية المجردة.

ووظيفة الدين تحقيق كمال التخلق بالتسديد.

❖ ثانيهما: أن الأخلاق تعمّ جميع أفعال الإنسان، وليس بعضها فقط، فتكون جمعية

الإنسان متحققة بجمعية الدين، كما أن كمال أخلاقه متحقق بكمال أحكامه.

وقد استدللّ طه عبد الرحمن على كون الدين المنزل بكليته أخلاق بقاعدتين:

✚ الأولى: قاعدة تأسيس العلاقة بين الدين والعلم على ناظم الآياتية، وهي تفضي

إلى نتيجتين:

✓ أولاهما: أن أسماء الصفات الإلهية المنزلة، ليست مجرد تعريفات شرعية دالة على

الذات الإلهية، وإنما هي تجليات كونية حاملة قيماً ومعاني على قدرها، وهي عبارة

عن أصول القيم والمعاني المتخلق بها إنسانياً، فيتحقق التخلق على قدر التعرف.

✓ الأخرى: أن الأحكام بوصفها أوامر ونواهي، ليست مجرد أعمال ظاهرة، وإنما هي

أحكام تكليفية تقترن بمقاصد أخلاقية وآفاق روحية، وهي التي يتعين على الإنسان

اتباعها، فيتحقق التخلق على قدر العلم.

✚ الثانية: قاعدة تأسيس الشاهدية الإنسانية للإلهية على ناظم الملكوتية، وهي تفضي

إلى ثلاث نتائج: أن الإيمان والعبادة هما في وأنها الغايتان اللتان خلق من أجلهما

الإنسان في وجود وأنها ينزلان منزلة الأصل أخلاق روحية عالم الشهادة الأصل

<sup>1</sup> طه عبد الرحمن، شرود ما بعد الدهرانية، النقد الائتماني للخروج من الاخلاق، المؤسسة العربية للفكر والابداع، بيروت، لبنان، ط1، 2016، ص323.

الذي تبني عليه أعمال الدين كله وفي هذا السياق، تبطل دعوى بناء الأخلاق على غير أصل الدين، إذ لا تكون الأخلاق روحية.<sup>1</sup>

---

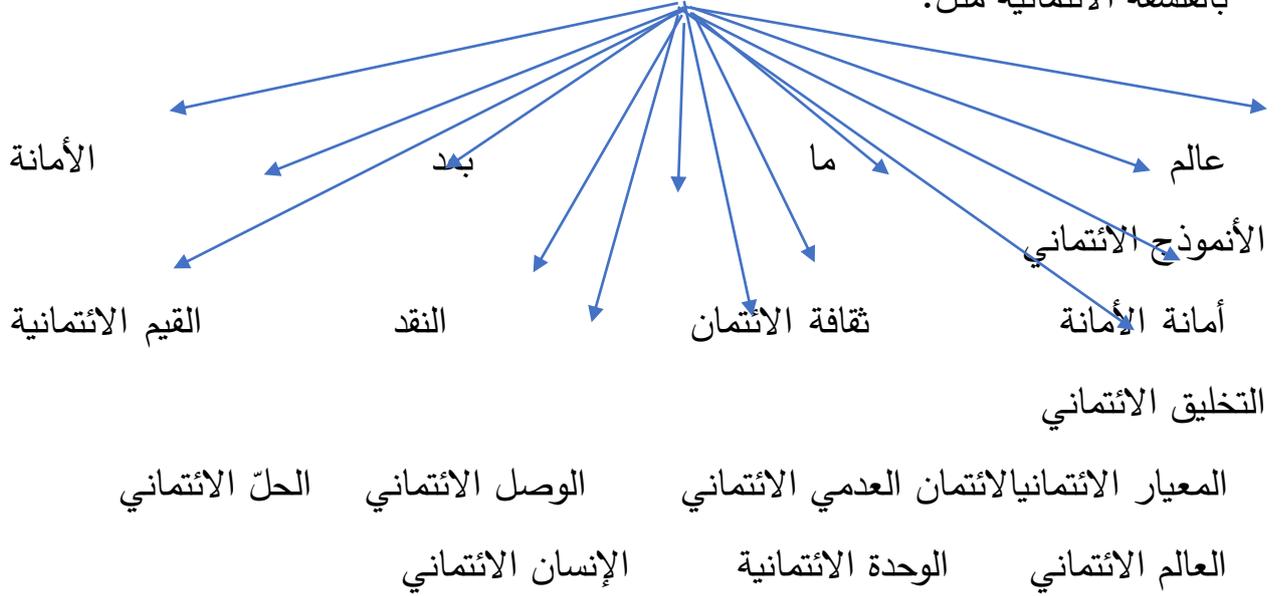
<sup>1</sup> -طه عبد الرحمن، بؤس الدهرانية، النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين، مصدر سبق ذكره، ص106، 103، 107.

## المطلب الثاني: من خصائص نظرية الفلسفة الائتمانية.

- إنها فلسفة فطرية ملكوتية روحية دينية.
- إنها فلسفة وصلية لا فصلية.
- إنها فلسفة عقلية موسعة متكوترة.
- إنها فلسفة استيعابية تكاملية لا تجزيئية.

أطلق طه عبد الرحمن مجموعة من المفاهيم المتصلة

بالفلسفة الائتمانية مثل:



بناء على ما تقدم؛ فإن الفلسفة الائتمانية بوصفها نموذجًا إسلاميًا حديثًا، بقدر ما تتأسس على النصّ الشرعي المؤسس -خصوصًا على ناظمه الأساس القيم الأخلاقية الصريحة منها والضمنية- فقد جعل منها منهجًا في النظر إلى النصوص والظواهر، ينبني على الإمكان الاجتهادي الواسع، فإنها تقوم على رؤية تجعل الإنسان يعقل الأشياء والقيم على جهة الإمكانيات الائتمانية التي تتطوي عليها، فتحدد بالتبع معقولية الأشياء وفق ائتمانياتها.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> -طه هيد الرحمن، ثغور المرابطة-مقاربات ائتمانية لصراعات الأمة الحالية، منشورات مركز مغارب، مصدر سبق ذكره، ص201

إن النظر الائتماني يظهر من حيث كونه نظراً حدثياً في النصّ القرآني، فيما يأتي؛ سواء من حيث المنهج، أو من حيث تحديد ماهية النصّ القرآني، وخاصة منحيت إنشاء مفاهيم جديدة؛ كمفهوم-الإنسان الكوثر-الذي يعتبر مصطلحاً نحتياً من صنع طه عبد الرحمن، وكذلك من حيث قراءة بعض الآيات القرآنية؛ مثل آيات الحجاب وغيرها...

## المطلب الثالث: طه عبد الرحمن والتواصل الشهادي.

### أولاً: مبدأ الشهادة عند طه عبد الرحمن.

مبدأ الشهادة أو مبدأ الهوية؛ أي رؤية الشيء هو نفسه أو عين ذاته، وهو يعبر عن مسلمة عند الكثير من الناس إن لم نقل عند الجميع، فعندما نقول الانسان هو الانسان دون زيادة أو نقصان نكون نتحدث عن قانون التفكير المنطقي عند أرسطو فلا نخلط بين الشيء وما عداه، ولا نضيف للشيء ما ليس فيه، ومخالفة هذا القانون يوقعنا في التناقض ويؤدي إلى إفساد الاستدلال، فلكي نفهم بعضنا بعضا يجب أن نتحدث بلغة واحدة لا يحتمل اي لفظ من ألفاظها أكثر من معنى.

ومبدأ الشهادة أو مبدأ الهوية عند طه عبد الرحمن لا يختلف عما قيل وهو كمبدأ أول للفلسفة الائتمانية يقتضي أن «الشيء هو- هو متى شهد عليه غيره» فهو يضيف على مبدأ الهوية، شهادة الغير ، ومعاني الشهادة كثير في القرآن بدءاً بشهادة الإنسان بوحداية الله في العالم الغيبي والمرئي وشهادة الخالق على هذه الشاهدة والانتهاة بشهادة الذات والشهادة على الآخرين وشهادة الكائنات الأخرى، فهو يرى أن كل الموجودات تتمتع بحق الشهادة، فهذا المبدأ كما يرى واضعه يتميز بالازدواج وينبني على الغيرية عكس مبدأ المبدأ الآخر الذي لم ينبني عليها.

### 2- مبدأ الأمانة.

لقد وضع طه عبد الرحمن هذا المبدأ في مقابل مبدأ «عدم التناقض» الذي تأخذ به الفلسفة الغير الائتمانية؛ ومبدأ عدم التناقض يقضي بأن نقيض الشيء هو نفيه، فنقيض الحكم أن هذا الشيء هو قلم، هو الشيء نفسه «ليس قلم» والكلام المتناقض هو الذي ينفي بعضه بعضا، ورمز هذا القانون «الشيء لا يمكن أن يكون (أ ولا أ) في أن واحد. وهذا ما يسمى بالمستحيل العقلي، والواجب العقلي هنا، أن يكون أ فإن لم يكن أ كان غير ذلك ب مثلا، ومن المستحيل أن يكون الشيء نفسه وليس نفسه في نفس الوقت فهذا ينافي قانون الطبيعة وقانون العقل والمنطق.

فإن مبدأ الأمانة في الفلسفة الإثتمانية يفيد أيضا نفس القضية إذ يقضي بأن الشيء ونقيضه لا يجتمعان متى كان العقل مسئولا، فقد أضاف هنا طه عبد الرحمن «المسؤولية» لهذا المبدأ؛ فالعقل المسئول لا يمكن أن يكون ضارا للوجود عكس العقل الغير المسئول الذي يعتبر إنتاج ما يضر أو ما لا يضر في منزلة واحدة دون أن يردعه رادع من إنتاج ما يضره ووجوده.

### 3-مبدأ التزكية.

أو مبدأ "الثالث المرفوع" الذي تأخذ به الفلسفة العادية، وهو يقتضي أن الشيء إما هو وإما نقيضه، فإذا كان "الشيء هو نفسه" طبقا لمبدأ الهوية، لا يجوز منطقيا لقانون عدم التناقض أن نصف شيئا واحدا بأنه هو نفسه وليس نفسه لاستحالة ذلك منطقيا حيث لا وسط بين النقيضين ويترتب عن ذلك قانون ثالث هو قانون "الثالث المرفوع" ورمز هذا القانون إما أن يكون الشيء «أ» أو «لا أ».

ومبدأ التزكية حسب عبد الرحمن طه، يفيد نفس القضية الشيء إما هو وإما نقيضه، لكنه يضيف عليه «متى كان العمل مطلوباً» بدأ من الجوارح وانتهى بأعمال القلوب، فلا خيار للإنسان في الفلسفة الإثتمانية إما أن يأتي بالعمل الذي يزكي به نفسه وإما أن يأتي بالعمل الذي يبدسيها، فإما «تزكية أو تدسية» قال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10)) [الشمس: 9-10]

فالتزكية حسب طه عبد الرحمن خيار أول لا ثاني، فالأصل في التزكية هي الترقية النفسية والروحية وببساطة هي الحل الأسلم والأنسب لكل المشاكل الاجتماعية. والمتأمل في هذا الكلام يتأكد يقينا أنه صحيح، فالمشاكل الاجتماعية سببها حب النفس والشهوات والميل إلى المكابرة والتعاضم وذلك ما يخلق المشاكل ويسمح بالدخول في الآفات وحلها التزكية.

انطلاقا من كل ما قيل، وخاصة من المبادئ الثلاثة: الشهادة والأمانة والتزكية؛ يكون طه عبد الرحمن قد أسس لفلسفة جديدة تختلف عن الفلسفة اليونانية المتعارف عليها، بل فلسفة

مؤسسة على نصوص إسلامية خالصة وخالية عن أي فلسفة كانت، قديمة أو جديدة، خاصة وأن المعروف عن طه عبد الرحمن أنه لا يعتبر فلسفة ابن سينا وابن رشد واخوان الصفا فلسفة إسلامية والسبب أن انطلاقاتهم كانت كتب الفلسفة اليونانية وفكرهم متشعب بأفكار أرسطو وأفلاطون وغيرهم من فلاسفة اليونان، فانصببت اهتمامات الفلاسفة المسلمين على قضية التوفيق بين الدين والفلسفة وأخذت هذه الإشكالية حجما فاق حجمها الطبيعي، مما جعلهم يغفلون عن إنشاء فلسفة إسلامية بحتة، ورغم محاولات الفلاسفة الذين جاءوا بعدهم إنشاء فلسفة إسلامية إلا أنهم لم ينجحوا وبقيت الإشكالية الكبرى هي إشكالية التوفيق بين الدين والفلسفة، وربما يكون هؤلاء الفلاسفة على حق إلى حد بعيد؛ فهم حاولوا إظهار التوافق الموجود بمحاولة التوفيق المجهول، ذلك أن الإشكالات الفلسفية الكبرى إشكالات إنسانية لا تتغير بتغير الزمان والمكان، فهي أسئلة الوجود الكبرى التي شغلت الفرد في القديم والحديث، لكن وبعد مرور كل هذا الزمن وبعد وضوح الأجوبة على الأسئلة الفلسفية القديمة وبروز معالم واضحة وجديدة للعالم المعاصر والمادي الجديد وعصر التكنولوجيا؛ احتاج العالم إلى تفكيك الفلسفة حتى تتماشى مع المجتمعات وحتى يكون لك مجتمع فلسفته كواجهة تقدمه للعالم، فاحتاج الفرد المسلم إلى فلسفة إسلامية تبحث في القضايا الإسلامية التي تهم الأمة والتي تجيب عن إشكالياتها وعن أسئلتها الكبرى المطروحة على الساحة الحالية، وهذا ما دفع ب طه عبد الرحمن إلى تأسيس فلسفته الائتمانية،

فكما سبق وذكرنا أن الفلسفة الائتمانية: هي فلسفة صاغها طه عبد الرحمن واطلقها كتسمية على ما يسميه بالفلسفة الإسلامية الخالصة، منبع هذه التسمية وهو ان الإنسان في أصله مؤتمن، انطلاقا من قوله تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72] أي: أن الإنسان ما يميزه عن باقي الكائنات الأخرى هو تحمله للأمانة، وهذه الحادثة حسب طه عبد الرحمن تم حفظها في الذاكرة الغيبية للإنسان منذ قديم الأزل.

وهذا الربط والجمع بين الفلسفة والدين وتأسيس فلسفة إسلامية بحتة جعل طه عبد الرحمن يناقش قضايا إسلامية بطريقة فلسفية، وقد خصص لذلك كتبا كاملة مثل الكتاب الثاني من سلسلة -دين الحياء- بعنوان: من الفقه الائتماني إلى الفقه الائتماني- ليتناول قضايا إسلامية شائكة من منظور الفلسفة المؤسسة على الوحي.

ولكن نحن ما يهمنا في هذا الكتاب هو توظيف طه عبد الرحمن للتواصل من خلال هذا الكتاب الذي يتحدث فيه طه عبد الرحمن ويدعو الإنسان المعاصر للخروج على الصورة النمطية إلى ابداع المصور، فحقيقة المصور الغوص معه في مبدأ التزكية المشار إليه سابقا أما حقيقة الصورة فليست الا الصورة المستوردة من الغرب والمرتكزة على الصورة والتصوير والشاشة والرؤية التي هي نفس الرؤية المبصر لإبداع المصور تشاهد بخيانة الصور المبتذلة المبتوثة عبر وسائل الاعلام والاتصال، فأصبح الفرد لا يراعي الله الرقيب مستعينا على اقتباس الإنسان لاسم الله المصور، فصبح العالم المعاصر مشابها للحضارة اليونانية والاعريقية التي غرقت في التصوير والتجسيد والعري فصلا وانفصالا عن الإسلام الذي يأمر بالستر ولعل هذا ما جعل طه عبد الرحمن يؤسس لفلسفة إسلامية خالصة، ولعل أخطر ما صنعتها الصورة والتصوير هي ظاهرة التكشف التي أصابت عموم المجتمع وهذا يناقض تماما الفطرة الإنسانية المبنية على الستر، وظاهرة التكشف المرتبطة بالصورة ومدلولاتها وما يتعلق بها من افتتان جعل الأزمة تتأزم أكثر، ولقد بنى طه عبد الرحمن رؤيته الفلسفية للتحديات الأخلاقية لعصر الصورة على إحصائيات فعلا مخيفة لمشاهدات الصور والمواقع الغير أخلاقية عبر شاشات الهاتف والتلفاز والكمبيوتر، فتحوّلت الصورة إلى سبب في الشهوانيات المؤدية إلى الفاحشة والاعتصاب وحولت العالم إلى عيش مأساة الانفجار الجنسي، وهذا ما دفع طه عبد الرحمن إلى مواجهة هذه الظاهرة عن طريق طرح القضية وسبل علاجها برؤية إسلامية عميقة، وقد قسم كتابه إلى ثلاثة أبواب يحاول عن طريقه تغيير الفكر البشري من التفكير بطريقة شهوانية إلى التفكير بطريقة عقلانية إبداعية، فبسط طه عبد الرحمن الصورة ووصفها أنها باقية مع الإنسان حتى وإن أغمض عينيه وذلك من عشقه للصورة، وهنا تتجسد -خائنة الأعين- كما

وصفها الكاتب، لأن الانسان يستحضر الصورة ولا يفكر في الخشوع وهو بين يدي ربه. فانقلبت الموازين من شخص يجلس في المحراب إلى شخص يجلس إلى الشاشة اغلب وقته، والغريب في نسبة الخشوع الموازية بينهما. فانقل الوضغ بالصورة من كونها وسيلة إلى أن أصبحت غاية وطمغت على القلب حتى أصبح لا يملك مكانا للخشوع أو التزكية أو حتى التفكير في غيرها خاصة أن الصورة المعاصرة مُهيجة، مثيرة، انفعالية، صادمة، وكأن الإنسان أصابه السكر والسحر فتتبدل الحواس والعواطف مع كثافة تدفقات الصورة، حتى الصور الجنسية تفقد إثارها مع تكرارها، لذا اتجهت الصورة الجديدة إلى مساحات الشذوذ والمبالغة في الخلاعة، وفي ظل التنافس الإعلامي يصير الفجور معيار الحضور، فالأفجر هو الأكثر فرجة وتداولاً، ومع تقدم تقنيات “الفوتوشوب” باتت الصورة تخلق الواقع وتتشبهه فتسبب ذلك في فناء المنفرج في الصورة وذلته أمامها، فتراجع الخبر رغم أهميته وتقدمت الصورة رغم فحشها وخلاعتها فأصبحت أكثر الصور ذيوعا هي أخبثها، فصارت السوءات طافحة على الشاشات، واختفى ورق الجنة الذي بحث عنه آدم الأول ليستر سواته المنكشفة مع خطيئته الأولى، يؤكد طه عبد الرحمن في الجزء الباب الثاني من كتابه أن رغبة الانسان تجاوزت مراقبة حدود الجسد الخارجي ساعية للوصول إلى البواطن والعقائد، وتلك هي المساحة الخطرة، وهي أن يطلب الإحاطة الكاملة ليمتلك التحكم الكامل والسيطرة كمرحلة وسيطة قبل تسخير الجميع، يرى طه عبد الرحمن أن الأصل في الإنسان أنه كائن مستور غير مكشوف حيا كان أو ميتا، والمراقبة تهتك الأستار لتعرف الأسرار، فتصير المراقبة خرقا لوجود الإنسان ظنا منها أنها لن تصل إلى سره الأعظم الذي تتهرب منه وهو ميثاقه القديم مع خالقه، فالإنسان ليس جمادا تكشفه آلات المسح الضوئي أو كاميرات المراقبة، ولكن وراء الجسد هذا أستار وأسرار. ويؤكد كذلك أن العلاج هو الوصول إلى حالة الائتمان، مع إبطال الحجج التي يستخدمها الشخص القائم بالتجسس، والعلم أن الآفات النفسية ليست سمي منازعة للحق سبحانه في أسمائه الحسنی، فالقريب، الخبير، اللطيف، العليم، المهيمن هو الله، وما يفعله الانسان من تجسس وتصنت ومراقبة ليس سوى منازعة لله فيما اختص به نفسه، فالحياء يوجب حفظ السر.

ثم في الباب الثالث يرى طه عبد الرحمن أن التكشف الذي أصبح صرعة الوقت الراهن، لم يترك هناك حدود للستر الجسدي والنفسي، وأصبحت الوسائط مخزنا للتكشف والبوح بالأسرار التي تجد سبيلها اليسير إلى شبكات التواصل الاجتماعي لتصير فضائية تستقطب الناظرين، لتصبح العورة المكشوفة على الشاشة معيارا للوجود والشهرة، يعشق بها الإنسان ذاته ويستهوئ بها الآخرين، والتكشف لا يتبدى بوضوح إلا في الجنس أو العنف. كما يرى كذلك أن التكشف في المجتمع المعاصر مسألة وجودية أكثر منها وجودية، فصار الوجود في التكشف والعدم في التستر، والإنسان المعاصر ليس مخيلا في تكشفه ولكنه مجبر، لأنه في قرارة نفسه يشعر بأنه في حكم العدم لو أنه حفظ باطنه أو كتم سره أو ستر عورته. ومع كثافة التكشف المعاصر استغنى الجسم عن النفس، فتوارت الروح وطغى الجسد بثقله ورغائبه وإغوائه، ومع دوامات الصور أصبح الإنسان عابدا لنفسه وهواها التي لا يكف عن تصويرها، أو محافظا على صورتها أو مروجيا لصورتها للآخرين، فلا حياة من دون شهرة ولا شهرة دون صورة. يؤكد طه عبد الرحمن أن الفقه الائتماري لا يضع في اعتباره الدلائل المعنوية للملبس، ورمزيات التكشف، كما أنه يغفل الفرق بين تعدي الأمر وتحدي الأمر في حالة المتكشف، أما الفقه الائتماني فيحاور المتكشف لطفا وعلما وباطنا وضميرا أنه بتكشفه إنما ينازع الخالق سبحانه في اسم من أسمائه وهو "الشهيد" فينقله من تعريته للجسد إلى يعلم يقينا أن نفسه عارية أمام خالقها.

وهكذا حاول طه عبد الرحمن وضع الإنسان امام واقعه عن طريق صدمه وصعقه بحقائق بدأت يوما بنظرة ووصلت به إلى منازعة الله في ملكه وأسمائه، ثم بعدها للوقوف أمام الحقائق الصادمة التي جعلت العالم برمته يتكشف إرضاء لشهوات زائفة في وقت من المفروض أن يكون الإنسان الشهادي الذي يمارس الفقه الائتماني ليصل للفلسفة الائتمانية حتى يمارس دوره الحقيقي في الأرض والذي من أجله هو موجود.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن، دين الحياء، من الفقه الائتماري الى الفقه الائتماني، روح الحجاب، المؤسسة العربية للفكر والابداع، بيروت، لبنان، 2017..

بعد كتاب روح الحجاب ننتقل إلى كتاب آخر ذو قيمة علمية في مجال الإعلام والاتصال والذي يسعى إلى استجلاء الإمكانيات التي تقدمها الائتمانية في ميدان تطبيقي محدد، والمعلوم أن طه عبد الرحمن

سعى إلى إعادة الاعتبار للعلوم الإسلامية وإحياء الإبداع فيها، مع الجرأة على نقد الحداثة وهذا ما جعله يبذل في تقديم مفاهيم جديدة، والتمكن من أدوات الفكر الفلسفي الغربي نفسه قراءةً وتحليلاً ونقداً، وقد كانت ثمرة هذا الاشتغال الدؤوب ثلاثية بعنوان: دين الحياء: من الفقه الائتماري إلى الفقه الائتماني. الذي خصص فيه طه عبد الرحمن الكتاب الثاني لمجال الإعلام والاتصال بعنوان فرعي هو: التحديات الأخلاقية لثورة الإعلام والاتصال.

### ثانياً: التحديات الأخلاقية للإعلام والاتصال.

هذه خلاصات لكتاب "دين الحياء: التحديات الأخلاقية لثورة الإعلام والاتصال"، بهدف فهم التطبيقات لنظرية الائتمانية في مجال الإعلام والاتصال، يضم الكتاب ثلاثة أبواب يعالج كل منها آفة من آفات الإعلام والاتصال، التفرج وهي آفة من الآفات التي تناولها طه عبد الرحمن وهي علاقة الانسان بالشاشة والتي وصلت بالناظر ليقب بالناظر الميت وعلاجه يكون بإعادة الإنسان إلى مقام الناظر الشاهد وقد نتج عن موت المتفرج ست خصال وهي:

-/التوسط بالصور

-/الرغبة في تملك المصورات الوقوع في التلصص التشبع بالعنف

-/تأذي القدرات الإغراق في التوهم

وإلى الآن لم نجد بعد عن السؤال المركزي هو : كيف يواجه الفقه الائتماري آفة التفرج وصفاتها؟ الفقيه الائتماري كغيره من الفقهاء، يعمل على استنباط الأحكام الفقهية المناسبة بحسب كل صفة، فالنظر إلى الصور المبتوثة يخضع عنده إلى مبدأ تكيف بصر المتفرج مع ثقافة الصور القديمة وهو جائز؛ لأنه إما تكيف مع ما عمت به البلوى من باب التيسير، أو

تكيف يتعذر الخروج منه فيندرج ضمن قاعدة الضرورات تبيح المحظورات، أو ألا يقصده الناظر فيقع ضمن قاعدة إنما الأعمال بالنيات، أو أنه لا ضرر يترتب عليه؛ إذا كان مقطوعاً أنه لا يؤدي إلى العبادة أو التعظيم. ولكن يحرم النظر الذي ينزل الصورة منزلة الند الذي يقيم الصورة مقام المصوّرات وجوداً وحكماً، كما يحرم النظر الذي يرقى بالصورة إلى مرتبة البُذ الذي يتخذ حيالها سلوكاً طقسياً صارماً ويجعل حكم اللمس الملازم للبصر تابعا لحكم النظر بإطلاق، فحيثما جاز أو حرم النظر جاز أو حُرّم اللمس وهكذا يستمر في استنباط الأحكام الفقهية وإلغائها إلى المتفرج بصيغة الأوامر.

لكن كيف ينقل الفقه الائتماني المتفرج من حالة المعصية القصوى إلى الحالي الائتمانية؟؛ يتدرج الفقيه الائتماني مع المتفرج مراعيًا خصوصيته النفسية وفق الأسباب السابقة في حين أن الفقيه الائتماني يلقي الأحكام والفتاوى دفعة واحدة من دون تدرج أو تربية. ففيما يخص استقلال الإرادة الذي يزعمه المتفرج، يلاحظ الفقيه الائتماني غياب المتفرج عن مجلسه في أوقات التفرج فينبهه إلى أن هذا الغياب دليل على أنه مملوك للصور وعبد لها، فينزِع المتفرج من ذلك، ويبقى معه على هذه الحال إلى أن يؤثر فيه انزعاجه فيقر بشذوذ تفرجه واستعباد إرادته، ليُقبل على العلاج من هذا الشذوذ، وفيما يخص استعمال العقل الذي يزعمه المتفرج، يلاحظ الفقيه الائتماني أن المتفرج يقف بتفكيره عند صور الأشياء لا يعدوها، فينبهه إلى أن الصور لا تمثل إلا ظاهر الأشياء، وأنه محتاج إلى معرفة باطنها، ثم يدعوه إلى النظر في نفسه كيف هي غير مردودة إلى ظاهره، وحينما يحاول المتفرج معرفة نفسه بما تلقاه في ثقافة مجتمعه من وسائل فإنه يعجز عن ذلك، ويقر بعجز عقله عن معرفة باطن نفسه.

إن بطلان الادعاءين السابقين يعني أن المتفرج "ظالم لنفسه" ومرد ذلك إلى فصل قيمتي "الإرادة الحرة" و"العقل المنتج" عن أصلهما الأسمائي؛ لأن استقلال الإرادة الحق هو استقلالها الروحي ذو الحياء، لا استقلالها النفسي الفاقد له، واستعمال العقل الحق هو استعماله الروحي ذو الحياء، لا استعماله النفسي الفاقد له فالفقيه الائتماني ينبه المتفرج إلى أن فصل القيمتين عن أصلهما الأسمائي ناتج عن منازعة النفس للشاهد الأعلى في أسمائه الدالة على صفاته، ومنازعة

النفس للألوهية في صفاتها، فهو ينازع الله عز وجل في أحد أسمائه الحسنى وهو "المصور" ويريد أن يكون له "التصوير المطلق". فالفقيه الائتماني يدعو المتفرج إلى ترك ذلك لينتقل من مقام التفرج إلى مقام "المشاهدة" بما هي نظر روحي حي ذو حياء وعلاقة الفقيه الائتماني بالمتفرج هي علاقة بصرية حضورية، ولذلك يساعده على ذلك الانتقال بطريقة عملية من خلال دعوة الفقيه الائتماني المتفرج إلى إتيان الأعمال بالترج، ويراقب آثارها عليه، فإن آنس منه الاستعداد انتقل به إلى مستوى أعلى من الأعمال، فالفقيه الائتماني يتدرج في نقل نظر المتفرج من رتبة النظر المُلكي الذي يتعلق بالظواهر إلى رتبة النظر الملكوتي الذي يتعلق بالآيات، فيلفت نظره بإشارات تجعله يشك في ملكيته للصور، ثم يسعفه للخروج من شكه بعمل أسمائي يدلها عليه، ليستيقنه من أن الصور هي التي كانت تملكه.

الآفة الثانية هي "التجسس" الذي يحدد علاقة الإنسان المعاصر بما خفي عنه من معلومات، وقد جعل طه له خمس آفات متفرعة عنه هي: الغلو في المراقبة، والنفوذ إلى باطن الأشياء، والنفوذ إلى الحياة الخاصة، وطلب الإحاطة بكل شيء، والرغبة في التحكم في كل شيء. وتتبع هذه الآفات من تأثر الإنسان المعاصر بفكر الحداثة وتستجيب عنده إنزعة "التأله"؛ فالتجسس المعاصر هو الصورة البصرية التي اتخذها التأله في الحياة المعاصرة، ذلك أن تلك الآفات الخمس هي آفات نفسية تعكس في عمقها—منازعات للخالق عز وجل في صفاته التي تدل عليها أسمائه الحسنى، وهي آفات: منازعة الرقيب، ومنازعة الخبير، ومنازعة اللطيف، ومنازعة العليم، ومنازعة المهيمن.

ولكن كيف يتصدى الفقه الائتماري لهذه الآفة؟ استعرض طه الوجوه المحتملة لتعامل الفقيه الائتماري مع خصائص التجسس منتقدا اقتصاره على إصدار الأحكام الفقهية دون أن يصحبها بإبطال مبادئ يتحجج بها المتجسس لمواصلة عمله الشنيع؛ لذا تبدو أحكامه الموجهة للمتجسس مجرد أوامر لا مسوغ لها، فلا يعيرها اهتمامًا ولا يعمل بها.

أما نزعة الإحاطة بكل شيء فيفتي فيها بالتحريم، بل يعدها كبيرة من الكبائر لما يترتب عليها من دائم الانتهاك للخصوصية الذي يشبه الاغتياب الدائم. أما التحكم بكل شيء، فيميز فيه

الفقيه الائتماري بين أنواع التجسس: العلمي والاقتصادي والأمني والشخصي، ويلجأ إلى التفريق بين الأهداف المرسومة له وبين الوسائل المتبعة في تحقيقها، فيفتي في غالب الأهداف بغير ما يفتي به في الوسائل من جواز أو تحريم. فيحكم—مثلاً—بالجواز على هدف التحكم العلمي الذي هو تسخير الكائنات، لكنه لا يجيز أغلب الوسائل التجسسية التي يتوصل بها العلم إلى هذا الهدف؛ ويحرم هدف التحكم الاقتصادي الذي هو تحويل المستهلك، لكنه قد يجيز بعض الوسائل التي تتوصل بها المقاوله إلى هذا الهدف كتحسينها للعمل التجاري،

أما الفقيه الائتماني فهو الوحيد الذي يستطيع إدخال المتجسس في تجربة روحية خاصة تعيد له حياته وتزيل عنه آفة التجسس؛ بفضل مجلسه الذي يقوم على المعاينة والملازمة مما يمكن الفقيه الائتماني من إنشاء علاقة وجدانية مع المتجسس تقوم على الصحبة والود، كما يقيم الفقيه الائتماني علاقة اشتغالية مع المتجسس تقوم على الاجتهاد في الأعمال والارتقاء في المراتب؛ تطهيراً للنفس وتطويراً للسلوك، فالفقيه الائتماني له طرقه في إخراج المتجسس من آفة التجسس، وهي طرق تجمع بين إبداء الرحمة والحث على الخدمة، وتقوم هذه العلاقة/الطريقة الوجدانية على التلطف مع المتجسس وإرسال إشارات التنبيه المباشرة وغير المباشرة إليه، وخلخلة وعيه بالأسئلة التي تستفز عقله، حتى إذا لمس منه الاستعداد المبني على الشك فيما كان عنده من مسلمات، والإحساس بخطأ ما تعود من تجسس، ألقى عليه من الأعمال الأسماوية ما يرقى به ويخرجه من آفة التجسس إلى حياء الشاهد.

الآفة الثالثة هي "التكشف" التي تحدد علاقة الإنسان المعاصر بالآخر الناظر إليه، مترجاً كان أو متجسساً أو ناظراً غير مترج ولا متجسس. توقف طه عند خمس صفات للمتكشف المنظور إليه تجعل منه منظوراً ميتاً؛ والمنظور الميت—كالناظر الميت—هو المنظور إليه الذي ضيع الحياء؛ الذي به تكون حياة الحي، وهذه الصفات هي: الأولى: إبداء الكل، حيث يُظهر المتكشف كل شيء من حالته الجسمية والنفسية. الثانية: إبداء الباطن حيث يُفشي المتكشف أسراراً ويودعها مذكرته في شبكات التواصل. الثالثة: حب الوجود حيث يعتبر المتكشف أن وجوده رهين بظهوره واشتهاره سعةً وقيمةً. الرابعة: حب الذات حيث يعشق المتكشف صورته أو جسمه

أو بصره. الخامسة: استهواء الآخر؛ إذ يحرص المتكشف على أن يؤثر في الآخرين ليجعلهم يتكشفون كما تكشف.

كيف يتصدى الفقه الائتماري لهذه الآفة؟ استعرض طه الوجوه المحتملة لتعامل الفقيه الائتماري مع خصائص التكشف الخمس، ليخلص إلى القول: إن أحكامه تتأرجح بين التحريم والتجوز والعفو بحسب كل حالة، وهي لا تؤثر في المتكشف إلا بالقدر التي تؤثر فيه الأوامر المجردة التي يعتقد أن الوقائع قد تجاوزتها، فضلاً عن كونها لم تأخذ بعين الاعتبار معانٍ أساسية ارتبطت بالتكشف مثل "نزع اللباس" و"تحدي الخالق" و"التخلق بأخلاق إبليس"، فلا يتفاعل المتكشف مع أحكام الفقيه الائتماري؛ مُصرًا على أنها أوامر تضر بحريته في الظهور والوجود، فدل ذلك على أن "الفقه الائتماري" لا يتوصل إلى نقل الإنسان المعاصر من الحالة الاختيائية إلى الحالة الائتمانية.

أما الفقه الائتماني فيتعامل مع خصائص التكشف الخمس واحدة واحدة، تعاملًا يؤثر إيجاباً في المتكشف؛ إذ إن هذا الفقيه يراعي ظروفه ويأخذه باللطف حتى يتعلق به، فيدعوه إلى العمل متدرجاً به في معرفة عيوب نفسه إلى أن يستيقن أنه ينازع ربه في اسم من أسمائه الحسنى وهو "الشهيد"، فينتقل به إلى الحال الذي يشعر فيه بالحياء من ربه، وهو حال "المشهود" وقد كان قبلها في حال "المتكشف".<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن، دين الحياء، من الفقه الائتماري إلى الفقه الائتماني، التحديات الأخلاقية لثورة الاعلام والاتصال، مؤسسة الفكر والابداع، بيروت، لبنان، 2017، ص 77-247.

## رابعاً: الائتمانية في مجال الإعلام والاتصال وإمكاناتها التطبيقية.

إن المضامين الائتمانية في مجال الاعلام والاتصال توزعت على مستويين مهمين، وهما الأساس في كل دراسة: المنهجية والمضمون، وسنحاول تحليل هاتين النقطتين في عنصرين كالتالي:

**أولاً: المنهج.** والمقصود بالمنهج؛ المنهج الائتماني الذي صاغه طه عبد الرحمن، وتبعاً لذلك سنتحدث كذلك عن الفقيه الائتماني وإسهاماته في علاج ما سماه طه عبد الرحمن بآفات المجتمع الأخلاقية التي يواجهها الاعلام والاتصال.

وقبل البدء نذكر نظريتين نشرحهما احتيفهما القارئ الآتي:

وهاتين النظريتين هما:

نظرية العقد



نظرية العقد التي قامت عليها حياة الإنسان

النظرية الميثاقية



تستند إلى الموثقة التي حصلت في حالة

وهي:

-/آلية بناء الترتيبات التعاقدية بين

-/الوجود الأول للإنسان مع ربه في

الفعاليات الاقتصادية

-/أحد أبرز تطبيقات هذه النظرية

-/عالم الملكوت

-/هو تصميم الهيكل الامثل

-/موثقة روحية وتعاهد أخلاقي يضبط

-/لتعويضات الإدارة في مجال الاقتصاد.

-/علاقات التعامل بين المؤمنين وخالقهم،

وتجلت في ميثاقين: "ميثاق الإِشهاد"

الذي اعترف فيه الإنسان بربوبية خالقه



الظاهر والملاحظ أن النظرية الميثاقية عقد أو ميثاق بين العبد وربه، أما نظرية العقد فهي بين العبد والعبد، فهما نظريتان لازمتان في حياة الانسان ووجود إحداها لا يستلزم غياب الأخرى بل بالعكس، النجاح يأتي حينما يوجدان تثنيهما.

لكن الطرح الذي طرحه طه عبد الرحمن يقتضي وجود الميثاقية فقط في حياة الإنسان أو التعاقد الميثاقى بين العبد وربه، لأن الحالة العقدية هي الخروج للحياة المدنية والميثاقية تدعو لترك المدنية ليسبح الإنسان في الملكوتية. وتعبير طه عبد الرحمن المدنية هي الاختيانية والملكوتية هي الائتمانية.

الفقه الائتماني يدعو إلى القيم واما الفقه الائتماري يدعو للتمسك بالمصلحة. والفقيه الائتماري يبحث عن استنباط الأحكام مراعاة للمصلحة واما الفقيه الائتماني يراعي الآخرة حتى وان كان على حساب المصلحة.

لذلك خصص طه عبد الرحمن الجزء الأول من دين الحياء لشرح الجانب النظري للائتمانية، وهي نظرية تقوم على مفاهيم وأصول ونتائج: فالمفاهيم الائتمانية عديدة ولكن معظمها على شكل أزواج كالإدراك المُلْكي والإدراك الملكوتي، والائتمار والائتمان، والائتمان والاختيان، والأمرية والشاهدية.

فتجد أن جملة الأصول الائتمانية تدور حول البعد الوجداني الباطني، مثل:



استخراج القيم الأخلاقية من الأحكام الشرعية يكون بطريق الاستدلال.

القيم الأخلاقية من الأسماء الحسنى بطريق الاستبصار باعتبار الأسماء مصدر القيم.

رعاية القيم الأخلاقية المبنوثة في الأحكام الشرعية والعروج بها إلى الاخلاق الانسانية باعتبار أنه لا عروج بلا إسرائ؛ لأن الإسرائ هو العملاذي يفضي إلى التخلق، والتخلق هو معراج الإنسان نحو الملكوت.

وبما أن الإنسان المعاصر قد خان الأمانة وتخلّى عن الأخلاق، والحياء أساس الأخلاق، فالإنسان المعاصر إنسان ميت؛ لافتقاده خلق الحياء. فليس للإنسان من اختيار سوى الخروج من حالة الاختيان إلى حالة الائتمان، والحياء هو المدخل إلى ذلك، والفقهاء الائتماني بما يمتلكه من طرق تربوية هو—وحده—الكفيل بعلاج أدواء الحياة المعاصرة وإعادتها إلى الحالة الائتمانية، فوجب الفقيه الائتماني ثلاثي: بيان القيم الأخلاقية المتضمنة في الأحكام الشرعية، مع التخلق بها ليكون قدوة للآخرين، ثم مراقبته للآخرين في تخلقهم بتلك القيم. أي أن الفقيه الائتماني يختلف تماما عن الفقيه الائتماري. وفي هذا يقول طه: "والآخرون قد يأخذون بظواهر الأحكام ورسوم الأعمال بأنفسهم، ولكن لا يستطيعون أن يأخذوا ببواطنها بأنفسهم، نظرا لأن القيم التي تتبني عليها هذه الأحكام والتي يُتوصل بها إلى التخلق، تتصف بصفتين أساسيتين لا يقدر على التعامل معهما إلا الخبير العارف بأسرار التخلق والمالك لأسبابه؛ إحداهما الخفاء؛ إذ إنها معانٍ دقيقة يتطلب إدراكها قوة استبصارية واستدلالية فائقة، والثانية: عدم الانضباط؛ فليست هناك معايير ظاهرة أو مادية يمكن أن يُتوصل بها في ضبط هذه المعاني الخفية. وعلى هذا، فإذا كان الفقيه الائتماري يعلم ظاهر الأحكام ويعمل بهذا الظاهر القانوني، ولا يستعمل

الآخرين فيه، فإن الفقيه الائتماني يعلم بباطن الأحكام ويعمل بهذا الباطن الأخلاقي ويستعمل الآخرين فيه، ولما كان الفقيه الائتماني يستقل بوظيفة الاستعمال، فقد عرف باسم المربي“.

**-/صفات الفقيه الائتماني: يجب أن يمتلك مهاراته وهي:**



فمن جهة المعرفة هو متمكن من مهارات الفقيه الائتماني التي تدور على استنباط الأحكام الشرعية الظاهرة، وعالم أيضا بأحكام الباطن وقادر على استخراج القيم الأخلاقية المتضمنة فيها. ومن جهة العرفان هو يمتلك قوة استبصارية وقوة استدلالية فائقة قادرة على استخراج المعاني الدقيقة الخفية من قيم التخلق الكامنة في الأحكام، رغم غياب أي معايير ظاهرة أو مادية يمكن أن يُتوسل بها في ضبط هذه المعاني الخفية. ومن جهة التربية، هو قدوة يعمل بهذا الباطن الأخلاقي وهو خبير عارف بأسرار التخلق ومالك لأسبابه وهو مربٍ قادر على حمل الآخرين على العمل بتلك القيم الأخلاقية. ولكن كيف يمكن للائتمانية أن تساعد في علاج الآفات الأخلاقية في مجال الإعلام والاتصال؟

قبل الجواب على هذا السؤال، عمل طه عبد الرحمن أولاً على تفكيك الآفات الأخلاقية وتحليلها بمنهج فكري فلسفي، ثم بين ثانياً أحكام الفقيه الائتماني المتعلقة بكل آفة أو بصفاتها، وأوضح أوجه القصور فيها. فاللائتمانية التي تعتبر أسماء الله الحسنى مصدر القيم الأخلاقية ترد الآفات الأخلاقية وصفاتها الفرعية إلى مسألة مركزية هي منازعة الإله في أسمائه الحسنى وصفاته، فآفة التجسس مثلاً، يتفرع عنها خمس صفات هي: الغلو في المراقبة، والنفوذ إلى

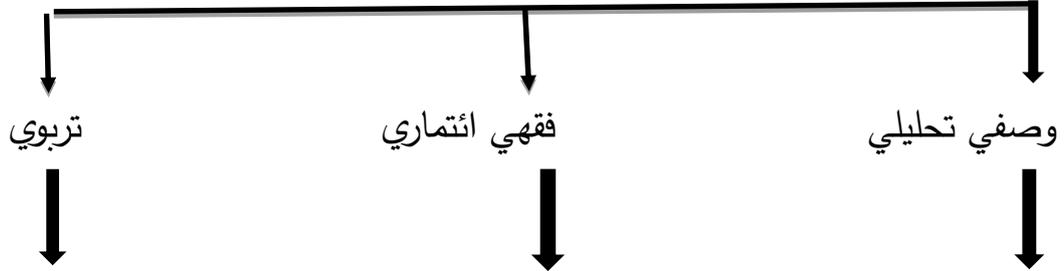
باطن الإنسان، والنفوذ إلى الحياة الخاصة، وطلب الإحاطة بكل شيء، والرغبة في التحكم بكل شيء. فهذه الآفة بصفاتها الخمس هي عبارة عن منازعة الحق سبحانه في خمسة من أسمائه الحسنى هي: الرقيب والخبير واللطيف والعليم والمهيمن. ومن ثم فإن العلاج الائتماني ينبني على هذا التشخيص المبني على استدلال منطقي وحكمي.

وقد صاغ طه عبد الرحمن العلاج الائتماني بأسلوب سردي يوضح كيف يقوم الفقيه الائتماني بعلاج الآفات الأخلاقية عند المتفرج -المتكشف- عبر إقامة علاقة وجدانية تقوم على النظر والمجالسة بين الفقيه الائتماني المربي والمتفرج مثلاً، والملاحظ هنا أن العلاقة التي افترضها طه عبد الرحمن بين الفقيه والمتفرج شبيهة بالعلاقة بين المريد وشيخه عند المتصوفة، ولعل ما يحتاجه الآن الفقيه الائتماني فعلاً أعمال مبدأ التزكية الذي أشرنا إليه سابقاً، ثم التحلي بمبدأ الأمانة والذي هو مبدأ الفقه الائتماني ثم بعدها يصل الاثنان إلى مبدأ الشهادة بمفهومها عند طه عبد الرحمن وكذلك بمفهومها القرآني «لتكونوا شهداء على الناس» (البقرة: 341). وتكون هذه المبادئ مثلها مثل مقامات التزكية التي تخلص إلى الشهود وهو أعلى المقامات والذي يصل به العبد إلى المشاهدة الروحية والغوص في حب الله متخلصاً من جميع الشهوات والاختيانية كما أطلق عليها طه عبد الرحمن.

فمن سمات العلاقة بين المربي والمتفرج الحياء والمودة، ثم يبدأ المربي بإثارة انتباه المتفرج إلى مفارقات تفرجه ومغالطاته وفساد منطقته وغاياته، حتى إذا أيقن المربي أن الشك بدأ يخامر نفس المتفرج، وأن عقله النقدي بدأ يشتغل، وأيقن أن نفسه متهيئة للانتقال إلى مرحلة أخرى، ألقى الفقيه المربي إلى المتفرج بعمل أسمائي (تكليف عملي يقوم على القيم الأخلاقية المتضمنة في الأحكام الفقهية) يلائم استعداده وخصوصياته ليعمل به ويسلك من خلاله، ثم يراقب الفقيه الائتماني تخلق المتفرج به، ثم ينتقل المربي بالمتفرج إلى مرحلة أعلى من النقاش والتنبية والتشكيك، فإذا لمس منه الاستعداد كلفه بعمل أسمائي أرقى. وهكذا يستمر العلاج حتى يخرج المربي بالفرد من حال الاختيان إلى حال الائتمان ويصير خلق الحياء متجذراً فيه.

ثانياً: المضمون. ناول النظر الائتماني بتدرج في التحديات الأخلاقية للإعلام عبر ثلاثة

مضامين هي:



يعرض المنهج

في علاج صفات آفات

يتلخص في بيان الحكم الفقهي

المتعلق بكل صفة من صفات

يتناول آفات الإعلام

الائتمانيا لأخلاقية

الآفة الأخلاقية الإعلام الخلقية وكيفية الوقاية منها

اجتهد طه كثيرا في الشق الفكري التحليلي الذي يرصد الآفة الأخلاقية ويوضح صفاتها

ومظاهرها وأسبابها ومفاسدها، فكان موسوعي العرض والافتباس عن أعلام علم النفس مثل فرويد

وجاك لكان، فقد برع في تحليل الآليات النفسية العميقة والكامنة وراء آفة التلصص وكشف العلاقة

الخفية بين العنف والشهوة الجنسية مقتبسا من رونييه جيرار.

وفي الكتاب نجد أيضا أن طه يواكب الخطاب المتخصص المعاصر في مجال نقد الإعلام

والاتصال على مستويين:

➡️ الأول: قدرته على النقاط العيوب الأخلاقية المتداولة بين المتخصصين وإعادة

صياغتها بأسلوبه الخاص

➡️ الثاني: أنه ينتبه للخطاب النقدي المتخصص في الإعلام والاتصال، فيلتقط

مفرداته، ويستلهم أمثله وقضاياها.

ففي المستوى الأول؛ لم يكتف طه فقط بابتكار تعبيرات خاصة مثل: التفرج والتكشف،

والمراقبة، والسير التكتفي إلى غير ذلك من الالفاظ، بل وضعها ضمن بنية فكرية منظمة

ومتأسكة استطاعن خلالهان يحصر الانتقادات الأخلاقية الموجهة إلى الإعلام والاتصال في ثلاث آفات كبرى هي: التفرج والتجسس والتكشف، وأن يجعل من باقي المزالق الأخلاقية صفات لهذه الآفات الثلاث وفق بنية منطقية تبدو مقنعة.

وأما في المستوى الثاني، تعرض طه لأهم الأمثلة التي يتناولها المتخصصون في الإعلام مثل البانوبتيكون،<sup>1</sup> وهو عادة ما يرد في سياق الحديث عن المراقبة داخل المجتمع. قام طه عبد الرحمن باستخرج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي ذكرت آفة التجسس، مع الإلمام بالتراث الفقهي المتصل بهذا الموضوع، وحصر أهم القواعد الفقهية المتعلقة به في سبعة سماها "مبادئ ضبط التجسس" وهي: تعميم النهي عن التجسس، وحفظ السر، والبراءة من الذنب وحسن الظن، والحاجة إلى التبين، والأخذ بالظاهر، واحترام الخصوصية، ودفع أذى المتجسس، وغيرها.

---

<sup>1</sup>البانوبتيكون لجيرمي بننام كمفهوم استعمل لمراقبة الأفراد في المجتمعات، هذه المراقبة التي كانت تهدف في المجتمعات التأديبية إلى حجز الأفراد داخل مؤسسات الحجز من أجل تأديبهم ومعاقبتهم وجعلهم في قالب واحد، بينما تحولت هذه المراقبة في المجتمعات الحديثة إلى مراقبة مستمرة من أجل تعقب حركاتهم وسلوكياتهم الاجتماعية والاقتصادية في مجالات مفتوحة باستعمال وسائل التكنولوجيا الحديثة البانوبتيكون الرقمي خاصة في زمن كورونا الذي رسخ لمفهوم مجتمعات المراقبة بامتياز.

# الخاتمة

# الخاتمة

يعتبر سؤال التواصل إشكالا قديما جديدا متجددا، باعتبار الوجود الإنساني المستمر، وقد كان التواصل من المباحث العلمية الذي تدولته الفلسفة من خلال اضطراب مسيرة الإنسان في عالم العلاقات. - الإنسان أشكل على الإنسان-

ففي فكر الغربي المعاصر يعتبر التواصل نتيجة حتمية لمرور الإنسان بعدة محطات:

1. العقل الأسطوري: الذي يفسر الأشياء والأفكار من خلال الأسطورة.
  2. العقل الكهنوتي: الذي سيطر على الإنسان الغربي في العصور الوسطى.
  3. العقل النقدي: الذي جاء نتيجة للانتفاضة من عصر التنزير على الكنيسة وممارساتها الكهنوتية.
  4. العقل الأداتي: الذي جاء كحتمية لما آل إليه العقل الاداتي من التشيؤ وظهور القيم السائلة في الأفكار والعلاقات.
  5. العقل التواصلي: الذي يعتبر دعوة لإنقاذ غرب ما بعد الحداثة واعتبار القيم الإنسانية والأديان كضمان للإنسان والمجتمعات. وهذا ما دعا إليه فيلسوف التواصل يورغن هابرماس من خلال مقاربتة في الفضاء العمومي، والتي تعتبر نظرية في التواصل الإنساني.
- وقد جاءت هذه النظرية وفقا لتراكمات معرفية جادة وغير متحيزة في العموم، كانت مدرسة فرنكفورت العلامة الفارقة من خلال تراكمات معرفية وعمل مؤسسي مميز في التحليل الاجتماعي.
- وفي بيتنا العربية لدينا الكثير من الأفكار في تراثنا، وللأسف ورغم كثافتها غير أنها لا ترتقي الى برديغمت معرفية وسيطة بين الأفكار والرؤى والاحكاموبين التنزيل الواقعي والامبريقي.

فكانت هذه المقاربة محاولة في رصد الحركة المعرفية في عالم التواصل في الفكر العربي، واخترنا شخصيتين حاولا من خلال مشروعيهما وضع تصور عن التواصل الإنساني الحضاري.

أولاً: طه عبد الرحمان نظر في العلاقة بين الأفكار والعلاقات فوجد ثلاث مقاربات واقعية:

- المقاربة العلمانية: وهي تقليدية من الغرب وانسحبت على بيتنا العربية، ومبرراتها انحصار دور الدين في الكهنوت.
- المقاربة الائتمانية: وهي التي تركز على الأحكام والأوامر في العلاقات والأفكار.
- المقاربة الائتمانية: والتي يقدمها طه عبد الرحمان كمشروع متكامل معرفي وعرفاني، يركز على التواصل الشهادي - عالم الشهادة، ولا يتحقق الا من خلال النسق الطهائي المستخلص من الوحي:

✓ التزكية: تواصل ذاتي

✓ الأمانة: تواصل مسؤول

✓ الشهادة: تواصل حضاري

واعتبار التواصل الشهادي أو في عالم الشهادة مقاربة ائتمانية بامتياز تتجاوز الأطارح التقليدية التي تعتمد على إقصاء الآخر.

ويمكن ملاحظة هذا طرح الطهائي من خلال التجريد العالي والنحت المصطلحي الذي تميز به طه عبد الرحمان.

ثانياً: عبد الرحمان عزي الذي اعتمد على مقاربة القيمة والرسالة في التواصل أمام هيمنة السلعة والوسيلة في التواصل، فكانت الحتمية القيمة في مقابل الحتمية التكنولوجية.

وهنا تحدي باعتبار صعوبة تنني فكرة الحتمية في الفكر التواصلي، ومن ثم كان التواصل القيمي هو علامة فارقة في العملية الاتصالية، والبراد يغم القيمي يقدمه عبد الرحمان عزي كمقاربة تتطرق من الوحي والتراث العربي الإسلامي.

فقد جعل من أسماء الله الحسنى تجليات تواصلية بدلا من تصورات عقدية فقط، وهذا منهجه في الاستفادة من التراث، كما هو الشأن في رحلة الورتلاني وكيف أستنج الرمزيات التواصلية فيها.

لكن ما يلاحظ على الطرح العزي هو الارتباط في تبني المنهج الامبريقي قبل نضوج الطرح من خلال سلم "ع-س-ن"، غير انه استدرك بامتياز الوضع من خلال نظريته "الواجب الأخلاقي في الاتصال: وقد كانت مدرسة مستغانم الفضل في إرهاباتها وبروزها وتداولها المعرفي نظريا وامبريقيا.

# قائمة المصادر والمراجع

## 1- قائمة المصادر :

- 1- طه عبد الرحمن، شرود ما بعد الدهرانية، النقد الائتماني للخروج من الاخلاق، المؤسسة العربية للفكر والابداع، بيروت، لبنان، ط1.
- 2- طه عبد الرحمن، دين الحياء، من الفقه الائتماني إلى الفقه الائتماني، روح الحجاب، المؤسسة العربية للفكر والابداع، بيروت، لبنان، 2017.
- 3- طه عبد الرحمن، دين الحياء، من الفقه الائتماني إلى الفقه الائتماني، التحديات الأخلاقية لثورة الاعلام والاتصال، مؤسسة الفكر والابداع، بيروت، لبنان، 2017.
- 4- طه عبد الرحمن، التواصل والحجاج، درس افتتاحي للسنة الجامعية 1993-1994، كلية العلوم والآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1994.
- 5- طه عبد الرحمن، التواصل والحجاج، كلية الآداب والعلوم الإنسانية-الرباط-مطبعة المعارف الجديدة، ط 23.
- 6- طه عبد الرحمن، بؤس الدهرانية، النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، القاهرة، الدار البيضاء، الرياض، المكتب الرئيسي بيروت، ط 2، 2014.
- 7- طه عبد الرحمن، روح الدين، من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط2، 2012.
- 8- طه هبد الرحمن، ثغور المرابطة-مقاربات ائتمانية لصراعات الأمة الحالية، منشورات مركز مغارب، الرباط.
- 9- طه عبد الرحمن، سؤال العنف-بين الائتمانية والحوارية، المؤسسة العربية للفكر والابداع، بيروت، ط 1، 2017.
- 10- طه عبد الرحمن، دين الحياء-من الإنسان الأبر إلى الإنسان الكوثر، المؤسسة العربية للفكر والابداع، بيروت، لبنان، ط2، 2016.

11- عبد الرحمن عزّي، دراسات في نظرية الاتصال-نحو فكر إعلامي متميّز، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي. ع28، بيروت-لبنان، ط 1، 2003.

12 - عبد الرحمن عزّي، دراسات في نظرية الحتمية القيمية، نحو فكر إعلامي متميّز، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة المستقبل العربي 28، بيروت -لبنان، سنة 2003.

13- عبد الرحمن عزّي، دعوة إلى فهم نظرية الحتمية القيمية في الإعلام، الدار المتوسطة للنشر، تونس، ط1، 2011 .

## 2- قائمة المراجع باللغة العربية :

- 1- أحمد بهيج؛ الفراسة: كيف تقرأ الناس عن بُعد؛ مكتبة الهلال للنشر والتوزيع.
- 2- آبل كارل أوتو، التفكير مع هابرماس ضد هابرماس، تر: عمر مهيب، منشورات الاختلاف والمركز الثقافي العربي والدار العربية للعلوم، الجزائر والمغرب ولبنان، ط1، 2005.
- 3- إبراهيم أبو عرقوب، الاتصال الانساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، دار مجدلوي للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط 1، 1993، ص 17.
- 4- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
- 5- أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، المكتب المصري الحديث للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط 11، 1993.
- 6- المحمداوي علي عبود، الإشكالية السياسية للحدثة: من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، منشورات ضفاف، دار ومكتبة عدنان، كلمة للنشر والتوزيع، ط 1، 2015.
- 7- جمال الخطيب، تعديل السلوك الإنساني، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، دار حنين للنشر والتوزيع، 2007، ط 2.
- 8- حسن مصدق، النظرية النقدية التواصلية - يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 2005.
- 9- حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس، الأخلاق والتواصل، بيروت: التنوير للطباعة والنشر، 2004.
- 10- شحاتة صيام، النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية إلى ما بعد الحدثة، دار مصر العربية للنشر والطباعة، مصر، ط1، 2009.
- 11- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، ط 10.

- 12-صالح أبو إصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، دار أرام للدراسات والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 3.
- 13-صلاح طلبية، المدخل إلى علم النفس، دار المعارف، القاهرة، ط 6، 1995.
- 14-عباس محمود عوض، علم النفس العام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط 1، 1987.
- 15-عبد الرحمن عزّي، دراسات في نظرية الاتصال-نحو فكر إعلامي متميز، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي. ع28، بيروت-لبنان، ط 1، 2003.
- 16-عبد الرحمن عزّي، دراسات في نظرية الحتمية القيمية، نحو فكر إعلامي متميز، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة المستقبل العربي 28، بيروت-لبنان، 2003.
- 17-عبد الرحمن عزّي، دعوة إلى فهم نظرية الحتمية القيمية في الإعلام، الدار المتوسطة للنشر، تونس، ط1، 2011.
- 18-عبد الغفار رشاد، دراسات في الاتصال، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1984.
- 19-عطوف محمود ياسين، مدخل في علم النفس الاجتماعي، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1989.
- 20-عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، منشأة المعارف، الإسكندرية-مصر، 2002.
- 21-علي الحلبي، الاتجاهات الأساسية في نظرية علم الاجتماع، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1991.
- 22-عمر أوكان؛ اللغة والخطاب؛ رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2011.
- 23-كمال عبد اللطيف، أسئلة الفكر الفلسفي في المغرب، المركز الثقافي العربي، 2003، بيروت.
- 24-كريب إيان، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، تر محمد حسين غلوم، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1999.

- 25-مانع بن محمد بن علي المانع، القيم بين الإسلام والغرب، الرياض-دار الفضيحة، ط1، 2005.
- 26-مانفريد فرانك، حدود التواصل، تر: عز العرب الحكيم بناني، الدار البيضاء، 2002.
- 27-مجد الدين الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشر: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط8، 2005.
- 28-مجدي احمد عبد الله، مقدمة في سيكولوجية الاتصال والإعلام، دار المعرفة الجامعية، سوتير-الإسكندرية، ط 1، 2008.
- 29-محمد إسماعيلي العلوي، التواصل الإنساني، دار كنوز المعرفة العلمية، ط 1، 2014.
- 30-محمد الأشهب، الفلسفة والسياسة عند هابرماس، جدل الحداثة والمشروعية والتواصل في فضاء الديمقراطية، منشورات دفاتر سياسية، ط1، 2006.
- 31-محمد بن سعود البشر، قصور النظرية في الدراسات الإعلامية، دراسة منشورة بالمجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد 83، صيف 2003.
- 32-محمود محمد قلندر، محمد بابكر عوض، اتجاهات البحث في علم الاتصال، ط1، دار الفكر، دمشق، 2009.
- 33-مياالعبدالله، نظريات الاتصال، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، ط1، 2006.
- 34-نصير بوعلي، الاعلام والقيم، قراءة في نظرية المفكر الجزائري عبد الرحمن عزي، دار الهدى، هين مليلة، الجزائر، 2005.
- 35- هابرماس يورغن، القول الفلسفي للحداثة، تر فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1995..

### 3 - قائمة المراجع باللغة الأجنبية

- 1- A.Mucchielli, **Psychologie de la communication**, PUF, Paris, 1995.
- 2- J.Cohen, **Discourse ethics and civil society in civil society and political theory**, London, 1999.
- 3- J.Habermas, **La science et la technique comme idiologie**, Trad .JLadmiral, Paris, 1973
- 4- J.Habermas, **Morale et communication**.
- 5- J.Habermas, **Verité et justification**, Trad .R. Rochlitz, Paris, 2001.
- 6- J.Habermas, **Théorie de l'agir communicationnel**, éd.Fayard, Paris 1987. Voir aussi, **Morale et communication**, éd.du Cerf, Paris, 1987.
- 7- Jean-François Dortier, **Le mystère de la communication**, Revue des sciences humaines –hors- série, n°16 mars-avril 1997, p8.
- 8- Monique Canto-Sperber, **dictionnaire d'éthique et de la philosophie morale**, Op.Cit, p, 275.
- 9-Besnier Jean-Michel, **histoire de la philosophie moderne et contemporaine figures et œuvres**, Op.Cit.
- 10-E.Goffman, **La mise en scène de la vie quotidienne** (2 tomes), éd. de Minuit, 1973.
- 11-J.Habermas, **Après Marx**, Trad .J .Ladmiral, Paris, 1985.
- 12-J.Habermas, **Droit et démocratie**, Trad .R. Rochlitz, Paris, 1997, p. 189.
- 13-J.Habermas, **Theorie de l'agir communicationnel**, Trad .JM. Ferry, Paris, 1987, T.1, p.9

#### 4- قائمة المعاجم والموسوعات:

- 1- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، 1993.
- 2- أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979.
- 3- وهبة مراد، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2007.

#### 5- قائمة المواقع الإلكترونية:

- 1- السعيد بومعيزة، لماذا نهتم بدراسة القيم؟، مأخوذ من موقع النظرية الحتمية القيمية،  
<https://sites.google.com/site/valuemediadeterminismtheory> .
- 2- آية ناصر، تعريف العلاقات العامة وأهميتها، <https://bit.ly/3Hgeapw>، 20، أوت، 2020.
- 3- بشير كردوسي، حفريات ابستمولوجية لنظرية الحتمية القيمية في الإعلام للدكتور عبد الرحمن عزي، <https://bit.ly/3C12Pse>.
- 4- مجدي احمد عبد الله، مقدمة في سيكولوجية الاتصال والإعلام ص 155-156.
- 5- مصطفى بوكرن، طه عبد الرحمن-فيلسوف التواصل الشهادي،  
<https://bit.ly/3C12Pse>، 2013/04/29، تم الاطلاع عليه: 2022/03/01 على 13:46.
- 6- محمد البشير بن طبه: نظرية الحتمية القيمية في الإعلام: قراءة في سؤال المشروعية،  
[http://sites.google.com/sites/value media determinismtheory/Ben .  
taba-elbachir](http://sites.google.com/sites/value-media-determinismtheory/Ben-tabachir)
- 7- موقع نظرية الحتمية القيمية في الإعلام، <https://bit.ly/3pizCnG>

# فهرس الموضوعات

## الفهرس

- كلمة الشكر
- مقدمة.....ص05
- الفصل الأول : فلسفة التواصل.المفاهيم والوظائف، النظريات والنماذج.....ص09
- المبحث الأول: مفهوم فلسفة التواصل.....ص12
- الفصل الثاني: التواصل في الفلسفة المعاصرة- المجال العام أنموذجا-.....ص62
- المبحث الأول : فلسفة التواصل في مدرسة فرانكفورت-.....ص63
- المبحث الثاني: هابرماس وفلسفة التواصل.....ص70
- الفصل الثالث : عبد الرحمن عزي وجهوده في التنظير.....ص78
- المبحث الأول : التنظير للتواصل في فكر عزي عبد الرحمن .....ص79
- المبحث الثاني: عبد الرحمن عزي والحتمية القيمية.....ص87
- الفصل الرابع : فلسفة التواصل عند طه عبد الرحمن.....ص109
- المبحث الأول: مفهوم التواصل ونماذجه عند طه عبد الرحمن.....ص110
- المبحث الثاني : طه عبد الرحمن والمقاربة الائتمانية.....ص114
- الخاتمة.....ص147
- قائمة المصادر والمراجع.....ص151